خطابات
برائحة الڤانيليا

سَؤِيم آق

خطابات

برائحة الڤانيليا

رسوم

بهيج آق

ترجمة

د/صبرى توفيق همام

مراجعة

أ. د/الصفصافى أحمد القطورى

تصميم الغلاف

سميح أوزجان

سفير

الطبعة الأولى
١٤٣١/ ٢٠٠٩
رقم الإيداع : ٢٠١٢٠ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 361 - 703 - 5

سفير
١٦ ش محمد عز العرب من شارع القصر العينى - ص . ب : ٤٢٥ الدقى - القاهرة
تليفون : ٢٥٣٢٩٩٠٢ - ٢٠٢+ فاكس : ٢٥٣٢٩٥٠٥ - ٢٠٢+
E-mail:Info@safeer.com Web Site:www.safeer.com.eg
المعرض الدائم :
٤٨ ش أحمد عرابى - المهندسين
ت : ٢٠٢/٣٣٠٤٩٤٠٣+

تُرجم هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة التركية

المؤلف :

سُوْيم آق

بدأت سؤيم آق تكتب للأطفال منذ عام ١٩٨٥ ، وكان أول أعمالها الذى نالت به جائزة سنة ١٩٩٧م . ونالت به جائزة أكاديمية دار الكتاب .

نشرت العديد من كتبها فى مجلات متعددة للأطفال. كما كتبت قصصًا للأطفال فى الإذاعة والتلفاز.

وقد مُثِّلت بعض قصصها على مسرح المدينة فى إستانبول، ولها أيضًا العديد والعديد من كتب الأطفال.

المترجم:

- د/ صبرى توفيق همام.

- تخرج فى كلية الآداب سوهاج ١٩٩٢م.
- حصل على الماجستير فى الأدب التركى.
- حصل على الدكتوراه فى الأدب التركى ٢٠٠٢م.
- له العديد من المقالات والأبحاث بالعربية والتركية.

المراجع:

- أ. د/ الصفصافى أحمد القطورى.

- أستاذ اللغة والآداب التركية فى الجامعات المصرية والعربية.
- له العديد من الأبحاث والمؤلفات والترجمات التى تدور حول الثقافة والحضارة العثمانية والتركية الحديثة والمعاصرة.
- حائز على جائزة الترجمة حَول الترجمات الإبداعية فى الأدب الإسلامى.
- نقل العديد من الأعمال الإبداعية التركية المعاصرة إلى اللغة العربية.

«الحياة مرآة،

لو ضحكت لها ، ضحكت لك بدورها»

إلى أمي العزيزة

رابيا آق

بدأ الطقس يبرد في الأيام الأخيرة من سبتمبر، وبدأ النهار يقصر إلى حدٍّ ما، ومنذ تلك اللحظة بدأت نفوس الناس ترغب في ارتداء الملابس الصوفية، وشرب السحلب الساخن.

كان «قيمق» ينظر إليَّ كمن أكل زباديًا لاذعًا. ويُتمتم غاضبًا وهو ينظر إليّ قائلاً:

من أين أتيت بفكرة السحلب هذه الآن؟ كان علينا أن نتحدث عن ذلك الترزى الذى يبدو أمامك وهو جالس على وجه السماء.

فى هذه الأيام تعلَّق ذهن «قيمق» بذلك المجرم الذى عكَّر صفو السماء مبكرًا، وما إن يتذكر كلمة مجرم حتى يأتى إلى ذهنه فورًا ذلك الترزى الجالس بين السحب والغيوم على وجه السماء.

وكان يقول: لن ينجو هذا المجرم من يدى قط.. فقد أتيحت لى الفرصة، ولن أدعها تفلت من يدى، وكان يظن أن أمره سوف يئول إليه يومًا ما، وسوف يشعل فيه النار بيده من الورق الذى علقه على باب غرفته؟ لكن لو كان الأمر صحيحًا فلا بد أن تكون هناك جريمة ومجرم؟!

لقد تخيل «قيمق» نفسه يعمل مستشارًا بالأجر فى مكتب البوليس السرى والتحريات.

ها ها ها . . . بالله عليك، هل هناك من يكون له عمل فى هذا المكتب ؟

«وهل تعتقد أن الشرطة تبحث فقط عن الأحداث البوليسية، التي تقرأ عنها في المجلات؟ فأنا لديّ ملفات كل القضايا؛ حيث أتابع يومًا بيوم كل القضايا مجهولة الفاعل، كما أجمع أطراف الحدث وآثاره، فتكون النتيجة أن أتوصل أحيانًا إلى المجرم قبلهم».

ها قد أقبل المساء، وينبغي أن ترى «قيمق»، سوف تستلقي على الأرض من الضحك، فهو يخرج كل مساء للبحث عن ذلك الترزي المجرم الموجود في السماء من خلال التلسكوب، الذي صَنعه من عُلب الأغذية المحفوظة الفارغة. واقع الأمر، أن هذا الترزى قد قطع دقائق الأربع والعشرين ساعة بمقصه غير المرئى إلى دقائِق، وقد كان يُخيطها بماكينته غير المرئية بالليل.

وبدأ «قيمق» يأكل أظافره من التوتر.

الشمس قد أمسكت بهذا الترزى حتى تجعل ليالى الشتاء

أكثر خمولاً وكسلاً.

في الأيام الماضية كتب «قيمق» عدة عرائض باسم كل جيرانه وأصدقائه والمطربين والنجوم السينمائيين والفرق الموسيقية وأبطال القصص الموجودين في حيه وفصله. ولم يكتب «قيمق» تلك العرائض على الورق الخاص بالعرائض، بل كتبها على أوراق مستعملة، فكان إذا ما وقعت يده على ورقة - كحواشي الجرائد وأجزاء المجلات وبقايا الأقمشة والمناديل - كتب عليها. واستطاع أن يربط العرائض بعضها ببعض جيدًا، بماذا ياترى؟ وقعت يده على قطع العشب الجافة، أو سيقان الأزهار أو أسلاك كهرباء أو عقود المقانق، ربط بها. وهو الآن يضع يديه حول رأسه مستغرقًا في تفكير عميق، ومن جانب آخر، ينظر إلى السحب الرمادية، التي تمر أمام عينيه، وهو في حالة يُرثى لها.

«آه!!.. كيف يمكنني توصيل تلك العرائض إلى الترزي الموجود في السماء! فقد ألحقتها ببعضها بتتابع، ولم أتوقع أن تكون قصيرة هكذا، أخذتني الدهشة وقلت: ينبغي أن ألقى نظرة على العرائض، تَحيَّرتُ.. فإذا بالساذج يحدث زوجة الترزى التى تبدو أمامه فى صفحة السماء صائحًا:

اقذفي بالدقائق التي قرضتها من النهار إلى كيس، أو ألقيها في البحر، ولا تلحقيها بالليل».

واى .. واى .. أنتم الآن تفكرون؛ ماذا أخذ «قيمق» معه؟ لقد أخذ ولكن ماذا أعطاه الليل؟!

يقول: إن الليل طويل على قيمق، وأنه يقضي الساعات الطوال مع جدته، فكل شخص يحب جدته إلاَّ أن هَمَّ «قيمق» الأكبر هو جدته. فعندما يتحدث إليها، حتى وإن ابتسمت، فسرعان ما يعبس وجهها.. فيختنق ويظل يتمتم مخرجًا دخانًا كثيفًا من فمه وأنفه وأذنيه، كأنه مدخنة:

«آه . . مرة أخرى جدتى . . لم يعد لحياتي مع جدتي طعم ولا لون بالقدر الذي يجعلني لا أقوى على ذلك» .

إن قيمق هذا طفل صغير ذو شعر أصهب ، يغطى أنفه بعض النمش ، وهو قصير القامة ونحيف ويُعد رئيس الفرقة الموسيقية بالمدرسة ، كما أنه الطفل الوحيد لوالديه ، والحفيد الوحيد لجدته . وعندما انفصل والداه تركاه كي يعيش مع جدته .

كانت الجدة قد أدخلت حياة «قيمق» فى برنامج محدد ، مثلاً كتلميذ : يذهب إلى المدرسة كل صباح . . . يعود منها ظهرًا . . . يتناول طعام الغداء ، ثمَّ يجلس ليبدأ في دروسه ، ويذاكر لمدة ساعتين على الأقل ، بعد ذلك يمكنه الخروج إلى الشارع ، وبمجرد حلول الظلام يعود للمنزل .

بعدما يحل الظلام لا يستطيع الجلوس مع جدته في البيت ، فقد ضاقت نفسه بهذا ، حيث أصبحت ليالي الجدة كئيبة ، فمعدتها تزمجر دائمًا ، وركبتاها تؤلمانها ، وقدماها لا تحملانها ، كما أنها لا تساعد «قيمق» في القيام بواجباته .

وعندما يعترض «قيمق» سؤال ، يمد رأسه للأمام ، ويضع يديه خلف ظهره ، ويظل يدور بوجهه في أنحاء غرفته محترقًا كاللهب :

«أفٍّ . . . لو أن جدتي توضح لي أين الخطأ! ولكنها لا توضح؛ لأنها إن أوضحت يكون عملاً نافعًا، ولكن جدتي لا تريد عملاً نافعًا».

لا أريد أن أقول لكم بأن «قيمق» معقد أو مزعج، فقد أمضى أيامًا عصيبةً خلال تلك الفترة، ولكنه في الواقع طفل محبوب، موهوب، لطيف، ذو وجه باسم.

كان عقله مشحونًا بالأفكار التى تُسهل الحياة، وحياته مليئة بالاستكشافات ، حيث اتخذ قرارًا مهمًا عندما كان صغيرًا، ويأخذ طعامه على الكرسي وهو شبه مربوط بالكرسى، هذا القرار هو :

«عندما أكبر سأهب نفسي للاستكشافات التي ستجعل حياتي ممتعة».

آهٍ . . لو أن هناك آلة كهذه، كم ستجعل العمل نافعًا جدًّا في تلك الأيام، عندما تضغط على الزر، تفتح فمها، فتضع فيه الورق، وليكن ما ستضعه هو أوراق الواجب وأوراق أخرى مكتوبة، فتقوم هي بدورها بتصحيح كل الأخطاء الموجودة في الورق، وستكافئني بالشيكولاتة.

الشيكولاتة؟ أووووو . . حتى الشيكولاتة لم تنسها يا

«قيمق»؟ ينبغي ألاَّ يَسمع أحد، فجدته بخيلة نوعًا ما؛ حيث كانت تعطيه نقودًا قليلة جدًّا، وإذا ما أعطته، فإنها حتمًا ما تسأله ذلك السؤال:

«ماذا ستفعل بهذه النقود الآن؟» إذا قال: «شيكولاتة»، فإنها تقلع عن إعطائه النقود، وتقول: «يااااه، إن الشيكولاتة تصيب أسنانك بالتسوس، وتحتاج إلى النقود ثانيةً من أجل العلاج».

وإذا قال: «سأشترى تذكرة أتوبيس لأذهب بها إلى المدرسة»، تقول: «سر على قدميك؛ كي لا يحدث لهما ما حدث لقَدَمَيَّ».

فإذا قال: «سأشتري خبزًا محمصًا»، تجيب بحُجة معاكسة: «آاااه . . . سوف تشترى كثيرًا ثمَّ تُصاب بالسمنة، فتحتاج إلى الذهاب إلى الصالات الرياضية من أجل التخلص من السمنة».

بالإضافة إلى ذلك يكون الرد ألاَّ تُعطيه ما يُريده قط. وتقول: «معنى ذلك أنك لست بحاجة إلى هذه النقود»، فتعيدها إلى شنطتها، بينما ينظر «قيمق» بنظرات توسل.

أنت تعتقد أن الجدَّة عجوز جدًّا، ولكنها ليست عجوزًا

بهذا القدر. اسمها «كَوربه كول، أى الوردة العَفِيَّة»، فكيف يُطلق عليها امرأة عجوز. وبينما تَغْرس أمها شتلات الورد، ولدتها أمها، لهذا السبب سميت «كَوربه كَول». فهي لم تبلغ الستين بعد، ولكن بدا عليها التعب فجأة، فهي تتحرك ببطء أقل من السلحفاة، وكي تَسمع مَنْ يتحدث، تلتفت بأذنها إلى الجانب الذي يصدر منه الصوت، وعندما تتحدث تخرج فقاقيع من فمها.

«هل تعتقد أنها تتحدث كثيرًا؟! لا.. فهى تفتح فمها طوال الليل، لا لتتحدث، وإنما لتتثاءب، وعندما تتكلم تبدأ كلامها بنفس العبارة: «آه.. لو رأيتني قبل عشر سنوات»، تتنهد وتستمر قائلة: «... كم كنت امرأةً جميلةً وقوية، والإنسان لا يُمكنه أن يتوقع كيف كنت، وإلى ما صرت، انظر، فالآن كل أطرافي تؤلمني، وعندما أنتقل من مكان إلى آخر، فإنني أتألم، فمن يقول لي أين كَوربه كَول القديمة؟».

يَدّعي «قيمق» أن السيدة التي تَبدو في الصور قبل عشر، عشرين، ثلاثين سنة - أنها ليست جدَّته؛ لأن السيدة التي تبدو في الصورة تضحك باستمرار في حين أن جدته لم يرها تَضْحك يومًا.

قطعًا ليست هي، فكيف للعيون المرحة أن تُشبه العيون الحزينة؟ وكيف للفم الباسم أن يُشَبَّه بالفم غير الباسم؟ وكيف للوجنات الضاحكة أن تُشَبَّه بالوجنات غير الضاحكة؟

فالجدة تَقْضي أيامها في النهوض من على مقعدٍ للجلوس على مقعد آخر. آهٍ.. إن الجلوس باستمرار شيء ممل..

عندما أكبر سأبتكر مقعدًا لمن هم مثل جدتى عندما تجلس عليه أكثر من ساعة يقفز بها خارجًا.

هذا اختراع مذهل.

«قيمق» لا يحب الجلوس كثيرًا، «لو أنني مضطر لكل هذا الجلوس لجُننت على أي حال»، حسنًا هب أنك أكلت كل هذا الطعام؟

«أوووو.. وهل يُمل من أكل الطعام؟».

فأكل الطعام هو الشيء الوحيد الذي يتكرر يوميًا.

لكن هذا لا يجعلني أتضجر، فأنا أتناول أنواعًا عديدةً من الطعام. وهل الأكل هو كل شيء، ألم أفعل أشياء أخرى؟ فأنا أستمع للموسيقى، وألعب الكرة، وأحفظ الشعر، وأتسلق الأرفف بحثًا عن الشيكولاتة، وأُطعم العصافير، وأُشاهد التلفاز. أما جدتي فهي لا تتحرك من مكانها قط، وإنما تقوم

الخالة التي تأتي كل صباح بأعمال المنزل. أما جدتي فلا تطهو طعامًا، ولا تذهب للتسوق، ولا تتجول في الشارع، ولا تخرج إلى الشرفة.

ومَن يأتون لزيارتها قلائل جدًا، حتى إن ساعي البريد نسيها. . ، يا ترى من كان سيقرع بابها، وإن لم يكن سوى بائع الصحف؟!

فجدتي تشتري الصحف من أجل قراءة أخبار الصحة، فهي تقرأ المعلومات المتعلقة بالصحة وتطبقها حرفيًا.

آاااه . . جدتي . . لا أنساها أبدًا، فكانت تسلق ست بيضات دفعة واحدة عند الإفطار صباحًا، حيث كانت قد قرأت في جريدة أن البيض يطيل العمر، ولكن لا بد أن تأكل ست بيضات في اليوم الواحد!

وبعد عدة أسابيع قرأت مقالة أخرى عن أضرار البيض: «البيض يسبب تصلب الشرايين»، فصاحت بصوت عالٍ قائلةً: «سوف نأكل بيضة واحدة خلال الشهر».

آه . . . لن يتغير شيء في هذا المنزل، ما لم تكن هذه الجريدة.

* * *

كعادة «قيمق» كل صباح يلقي نظرة على العناوين الرئيسة في الجريدة بينما يشرب اللبن، فإذا إعلان صغير أسفل عنوان رئيس بين قوسين. وكانت صِيغَة الإعلان هكذا:

«مطلوب شاب يقرأُ كتابًا لإنسان قعيد».

شارع جيلان، رقم ٣٣ بالميه

بمجرد أن قرأت الإعلان، أَحسست كأني غريق يتعلق بعود قش، وهذا الإعلان هو مُنْقذي من الغَرق.

مطلوب «شاب» و«قيمق» لا زال في الحادية عشرة من عمره، وأبناء الحادية لا يقال عنهم شباب بل أطفال، ولكن يا عَزيزي، ما علاقة السن بقراءة الكتب، ألم يقل المعلم: إن «قيمق» أحسن وأفضل من يقرأ في الفصل.

ويمكنني القيام بهذا العمل، فهو أفضل عمل لي، بالإضافة إلى أنني أحب قراءة الكتب، فأنا أقرأ الكتب بصوت عالٍ جَهُوري، حتى دروسي التي أذاكرها أقرؤها بصوت مرتفع، وإلاَّ فلن أفهمها.

ودون أن يفقد شجاعته، قرر الذهاب إلى العنوان الموجود في الإعلان.

«إذا حصلت على العمل، فسأشتري بأول نقود أكسبها «شيكولاتة» ثمَّ أرافق «بالدوداق» إلى السينما».

لكن من هى «بالدوداق»؟ إنها أجمل الفتيات في فصل «قيمق»، ذات الشعر الأصفر المموج، والوجنتين الورديتين،

والعينين الزرقاوين الواسعتين، وهي بدينة قليلاً، وقد أحبها «قيمق» كثيرًا من بين الفتيات اللائي عرفهن، وهي الصديقة الوحيدة التي لا يريد أن يمنع نفسه عن التفكير فيها ورؤيتها باستمرار.

أما الأيام التي لا يراها فيها فيصير مشوش الفكر، لا يرغب في فعل شيء قط، ويدب داخله قلق غريب، ويصر على الذهاب لأي مكان، ولكن سرعان ما يقلع عن ذلك، ويرتدي ملابس سخيفة غير متناسقة، ويتجول داخل المنزل بأقنعته السحرية، ويضع رأسه أسفل الصنبور، وينظر ببلاهة إلى قطرات الماء التي تتصبب من شعره. وغالبًا ما يصير فى تلك الحالة فى نهاية الأسبوع، أليست نهاية الأسبوع هى العطلة المدرسية؟ حيث تَرغب جدته في بقائه في المنزل لاستذكار دروسه، فنادرًا ما تَسمح له بالخروج، لذلك يفعل أى شىء حتى ترسله للخارج، فينهض لإلقاء نظرة في لمح البصر، وكلما لم يجد مأكلاً ما أو شيئًا ناقصًا في المنزل ينهض لشرائه في لمح البصر.

كقوله: «هناك حريق». . أو

«بقي القليل من الخبز». . أو

«لم يترك بائع الجرائد ملحق الجريدة» . . أو

«نفد الماء» .

وغالبًا ما ترد جدته بنظرة بلهاء على صياحه، وإذا أَصر كثيرًا تشير بيدها: «هوِّن عليك»، وتقول: «سوف نَشتري غدًا» .

ولكن هل يسمع «قيمق» لها، فهو يَلوك فَمه بكلام مثل: «لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد»، ثمَّ ينطلق إلى الشارع بسرعة كما لو كان يخطف شبكة الشراء . . ولا بد أن يَمر عدة مرات أمام السينما» .

«آي . . مَنْ يَدْرى . . ربما يُصادف «بالدوداق» في الطريق» .

فهي مُولعة بالسينما تمامًا، فكل يوم اثنين تقص على الفصل الفيلم الذي شاهدته في عُطلة الأسبوع، وتتصادق مع الأطفال الذين شاهدوا الفيلم نفسه .

«ما إن تحين نهاية الأسبوع حتى يفرغ «قيمق» حصَّالة نقوده في عُطلة الأسبوع، ويعدَّ نقوده، ولكنها لا تكفي لشراء تذكرة سينما» . كما أنه لا يُحبز طلب نقود من جدته؛ حيث إنه يعرف ما ستقوله له جيدًا: «هل ستذهب إلى السينما يا «قيمق»،

سوف يَعْرضون عدة أفلام في التلفاز، يمكنك أن ترى بعضًا منها» . .

«إن جدَّتى تشبه العتبة الموجودة على باب فصلنا، تلك العتبة التي لا يمرُّ صباح دون أن تعرقلني» .

* * *

بعد خروج «قيمق» من المدرسة، ذهب إلى العنوان الموجود في الإعلان، وظل يسير سائلاً، حتى أتى منزلاً وردي اللون، يطل باسمًا بين حدائق الرمان، وكان المنزل قريبًا جدًّا من المدرسة، فلم تمضِ سوى عشر دقائق منذ خرج من المدرسة حتى وصل إلى المنزل.

وبينما كان يَدْفع باب الحديقة لفتت نظره لافتة موجودة أعلى الباب، ولكن الكتابة كانت متناثرةً ومَمْسوحةً، ولكنه استطاع قراءتها بصعوبة : «اجذب الحبل» .

جَذب الحبل، وفُتِح الباب، كم بدا المنزل الوردي جميلاً بين الرمان الأحْمر والأغْصان الخضراء، فهو يُشْبه المنازل الموجودة فى الأساطير تمامًا، لا ينقصه إلا الدخان الوردي المنبعث من مدخنته الفريدة.

نظر «قيمق» إلى المنزل برهة، ولم يُطل النظر حتى أتى باب

المنزل قافزًا، كأنما يلعب الحَجْلة فوق الأشجار المنبثقة منها أزهار شقائق النعمان الصفراء والأعْشاب الخضراء. ولكنه لم يشعر براحة داخله ما لم يَعُدَّ تلك الأحجار، وبالفعل لم يطق صبرًا، وعدَّها حيث بلغت اثنين وعشرين حجرًا من باب الحديقة إلى باب المنزل.

«آاااااه . . إنها النسخة الأصلية للملاحظة المَوْجودة عند باب الحديقة . . ها هي عند باب المنزل».

وبينما يجذب الحبل شعر بدهشة، ماذا سيفعل الآن؟ فهو لا يستطيع التحدث بهدوء مع من يتعرف عليهم حديثًا، ولكنه لو جعل نفسه مكان الآخرين، لتحدث دون تلعثم أو خجل.

هاا . . فقد تذكر لعبة الهوغو الموجودة في لعب الحاسب الآلي، فلو اعتبر نفسه هوغو يُمْكنه أن يجتاز هذا الأمر.

دخل «قيمق» المنزل وهو يَسير بتوازن كما يسير الهوغو قائلاً: «عندما أكبر سأتحدث وأنا فاتح العينين تمامًا مثل الهوغو».

عندما دخل وجد رجلاً جالسًا على كرسي متحرك: عجبًا، ما هذا؟ فقد سقط رأس الرجل إلى الأمام، وكأنه يشير بيده إلى مكان ما. يبدو أنه يشير إلى بَرْطمان المربى الموجود في

الرف، فقد ضرب أحد رأسه ببرطمان المربى.

آاااي، لقد رأيت هذا المشهد في التلفاز أول أمس، كان لا يضع يده على قدمه كما يفعل هو الآن.

يحب «قيمق»أفلام الرعب كثيرًا، ولا سيما إذا كان هناك كيس من الفشار. والخوف يجب أن يحدث في أفلام الرعب فقط . . . ولا أرغب أن تأتي أحداث مخيفة على رأسي. . إيواه . . إذا قُتِل هذا الرجل كبائع اللبن الموجود في الفيلم . . فإن آثار أصابعي التى لامست كل شيء: الحبل، المنضدة، الجدار سوف تدل علىَّ . . وقد يراني أحد عندما يدخل المنزل . . إذا أتى أحد فسيقول: إنني القاتل؛ لأنجو من سجن جدتي إلى سجن الجناة . . كلاهما واحد!

كان الرعبُ قد بدأ يدب في قلب "قيمق"، فإذا به ينظر يمينًا ويسارًا، ولا يعرف ماذا يفعل. "لو كان القاتل في الغرفة ؟ لو رآه . . لو كان قد خطط لجريمته، فلن يترك شاهدًا واحدًا على الحادثة".

لماذا تورطت في هذا العمل، ينبغي أن أصير غبارًا، يجب أن أبتعد على الفور من هذا المكان المليء بالأخطار.

يا للقدر! بينما كان يهرب سَقط على الأرض عندما

تعرقلت قدمه بالعتبة، أدرك أنه إذا لم يكن القاتل قد رآه، فحتمًا رآه الآن بعد تلك الجلبة، وفي الوقت نفسه ربما يأتي لمساعدته شيء اسمه الحظ، يأتي من بين كل اللحظات غير المتوقعة، وها هى لحظة الحظ قد واتته.

فإذا بالرجل قد رفع رأسه، وقال كلامًا مثل: "لماذا تأخرت يا بني؟"، لم يرَه "قيمق"، ولكنه ظن من صوت الأقدام أنه الشخص الذي ينتظره، أنا لم أتناول طعام الغداء بعد . . .

خَرجت آهة عميقة من صدر «قيمق»، لم يمت! يتحرك! شيء . . أنا . . . لست الشخص الذي تنتظره.

فرك الرجل عينيه، ونظر إلى «قيمق»بعينين باسقتين يملؤهما الدفء، وقال: "ظننتُك صَبِي البقال، فقد طلبت أشياء من أجل الغداء، ولم يأتِ بعد".

توقف «قيمق»على الفور، فهو لا يعرف ما سيقوله، يا تُرى كيف كان سيتصرف الهوغو؟ ماذا سيقول الآن؟ كيف سيوضح رغبته في الالتحاق بالعمل، الذي صدر من أجل الإعلان؟

فوضع أمام الرجل المجلة، التي انحشرت أسفل الكرسي، وأشار بإصبعه إلى الإعلان، أثناء ذلك أخرج صوتًا غير

مفهوم، مثل "قيق".

فهم الرجل ما أراده «قيمق»من الحالة التي هو عليها: "جئت من أجل الإعلان، أيمكنك العمل دون أن تمل ذلك"؟

هز «قيمق»رأسه بالموافقة.

فطلب منه الرجل إحضار الكتاب المفتوح من أعلى المنضدة، وقال له: "اقرأ عليَّ عدة أسطر، ولنرَ".

نظف «قيمق»حنجرته، وبدأ القراءة بتأنٍّ كي لا يخطئ، حتى أنهى الجملة الثالثة. قال له الرجل: "أنت جميل المحيا، وسأمنحك هذا العمل".

كان «قيمق»يوميًا بعد خروجه من المدرسة يذهب للرجل العجوز لمدة ساعة، وهكذا سيكسب نقودًا وستتغير حياته. وقد غَلِى دَمُه عند أول نظرة للرجل العجوز.

ترتِرْ بك رجل نحيف وجهه مليء بالثنايا، وله نظارة ذات إطار أسود سميك، وشعره أبيض طويل يمتد حتى كتفيه، كان قد نجح في منح «قيمق»الأمان بنظراته الدافئة منذ أول لحظة.

وقد شعر «قيمق»بالسعادة تغمر قلبه، وكأنه طائر مُغَرد.

وخرج من منزل العجوز، وسار نحو المنزل، وهو يؤرجح حقيبته، وكانت جدته قد أعدت له الطعام، وانتظرته، ولما

عاد كانت نائمة على الكرسي. فتناول طعامه بدون صوت كي لا يوقظها، بعد ذلك جلس على حافة النافذة، وبدأ يفكر في الرجل العجوز.. حدائق الرمان.. "عمله الجديد".

"فقال: يبدو لي في الأفق إن هناك رجلاً داخل الضباب، قدم لي كمًا من الفاكهة، ربما يكون لذيذ المذاق، وربما يكون فاسدًا".

* * *

ذهب «قيمق» إلى فراشة الليلة مبكرًا عن أي وقت مضى، ولكن النوم لم يمس جفنيه. وظل يتقلب على السرير مفكرًا في أنه «تلعثم عندما قرأ الكتاب على السيد ترتر، وأنه لم يستطع الاستمرار في القراءة لمدة ساعة دون توقف، أو ربما يدخل صبي البقال وهو يقرأ ويسخر منه».

وقد رأى حلمًا غريبًا في نومه الذي استغرق فيه حتى الصباح، يقول: «رأيت أنني ضللت طريقي في غابة تسكنها الوحوش، وكان إذا هربت من أحدها اعترضني آخر، وبعد المطاردة الشاقة لفت انتباهي ضوء منبعث من بين الحدائق، يأتي هذا الضوء من كُوخ صغير من البوص، فاتكأت على بابه، وأنا قاطع النفس. كان يجلس داخل الكوخ زعيم

القبيلة، وكان يكره الإزعاج، فأمسكني من أذني، ونقلني إلى الميدان، وهناك كان الهنود الحمر يعدُّون طعام العشاء، فألقوا بي في مرجل مملوء بالماء، ووضعوه على النار، ثمَّ وضع أحدهم الملح على الماء، وفتح آخر كتابًا، وأفرغ أجزاء الورق الموجودة فيه، وعندما رفعت رأسي اكتشفت أن الرجل الذي يمسك الكتاب هو السيد ترتر، وكان يبتسم بوجهه الودود؛ حيث يمتلئ جسدي بدفء لطيف».

كان ذلك هو السبب في عدم رغبته في النهوض عندما استيقظ على دقات جرس الساعة، حيث أعجبه الدفء كثيرًا، فجذب البطانية على رأسه كي يشعر بالدفء نفسه، ولكن جدته لم تسمح له، وأخذت تقرع على السرير. وجاءت نحو رأسه خمس مرات، كي تقول له: انهض، ستتأخر على المدرسة. نهض «قيمق»من على السرير قائلاً: سأنام صباح السبت حتى لا يتبقى لدي نوم.

* * *

لم يكن أول يوم لـ «قيمق» مع السيد ترتر سيئًا كما توقعه، قد كان ترتر رجلاً شجاعًا عامل «قيمق»برفق بوجهه الباسم. وعندما حضر «قيمق» إلى المنزل كان صبي البقال قد أحضر طعام الغداء للرجل، فقال الرجل لـ «قيمق» : «استرح أنت

قليلاً، ولأتم أنا طعامي».

بينما كنت أنظر، تعلق نظري بالمكتبة، يا لها من كتب عديدة! بينما أنا لدي اثنا عشر كتابًا فقط.

كان «قيمق»يحب القراءة كثيرًا، وكأنه دودة كتب، وكان لا يشعر سعادة ما لم يقرأ أى كتاب يعجب به الآخرون .

ولم يتخيل أصدقائي أن أعيد إليهم الكتب التي قرأتها كي يقرءونها ، لهذا السبب، ظلت كتبي قليلة جدًا. أن السيد ترتر... يا لسعادتي لو أنه يملأ عقلي بتلك الكتب كشرب الماء! بينما كنت أطوي الضحكات، وضعت الكتب على ركبتي، فكم أرغب في محادثة الأبطال، وسماع الموسيقى، وأبواق السيارات، وسماع أصوات المَلاعق والشوك، ونداء البائعين.

بعد الأكل كان السيد ترتر يبحث عن العلامة الموجودة في الكتاب، وأخيرًا توقف عندها. وأخذ «قيمق»الكتاب من يد السيد ترتر، وظل يقلب صفحاته بسرعة، حتى وجد العلامة الحمراء، التي وضعها في الكتاب، وبذلك نال أول ثناء من ترتر بك حين قال له: «عفارم».

عندما شرع في القراءة أسند السيد ترتر رأسه على مسند المقعد، وأغمض عينيه قائلاً: «تأنَّ في القراءة، ولا تُسرع».

كان الكِتاب يتحدث عن العالم تحت البحار، وكان «قيمق»يحب الاستماع إلى القصص المتعلقة بالبحار. لهذا السبب كان يستمتع كثيرًا عندما يقرأ عن البحار. وكان أكثر ما يضحكه تجول السمك المصاص وهو متعلق بظهر سمك مصاص أو سمك آخر.

وقبل مرور ساعة قال له السيد ترتر : يكفي هذا ، ينبغي ألاَّ أرهقك من أول يوم .

بيد أن «قيمق» كان قد تخلى عن خَجله بعد الدقائق الأولى ، وبدأ يرى منزل السيد ترتر ، وكأنه منزل مألوف لديه ، وقال : «لم أتعب ، سأواصل القراءة" ، فقد وصلنا إلى شقائق البحر ، ليتني أنهيه هو أيضًا . . ماذا ترى؟ !» .

أغمض السيد ترتر عينيه ، واستمر «قيمق»في القراءة ، وبعد خمس دقائق قال له : "ضع علامةً في المكان الذي توقفت عنده ، وأعد الكتاب إلى المكتبة" .

فعل «قيمق» ما قيل له بدون صوت ، «والآن ، انظر واختر أكثر كتاب تحب قراءته ، وبعد أن تقرأه أحضره ثانيةً» .

أخذ «قيمق» كتاب «أَليس في بلاد العجائب» ، احتضن الكتاب وعانقه بشدة . «فقال السيد ترتر له ؛ لا بد أنك تحب الكتب بشدة ، أليس كذلك؟»

«بلى ، فأنا مُغرم بالكتب» .

بينما كان «قيمق» عائِدًا إلى المنزل كان السرور الذي في قلبه منحه اجتياز يومه الأول دون متاعب أو حوادث . أما في عقله فكانت «بالدوداق» .

"ينبغي أن أقرأ «أليس» خلال أسبوع، فسوف يُعرض فيلم عنه في سينما «چاملك»، فلو ذهبت إلى السينما مع «بالدوداق»، سأقول لها: إني قرأت قصة الفيلم.

وأخيرًا . . أخذ «بالدوداق» بدلاً من الكتاب الذى يحتضنه بشدة. . وبدون كلام ذهب إلى البيت. «بينما كنت أسير، فكرت أنه كانت هناك الآلة التى ستصبح بالفعل أحلام الاختراع الأكبر في العالم».

من يعلم، ربما عندما يكبر يخترع هو تلك الآلة الخارقة!

* * *

عندما ذهب «قيمق»إلى المنزل الوردي فى اليوم التالى وَجَد الباب مفتوحًا، وكان قد تردد لحظةً في الدخول، ثمَّ دخل.

فهم السيد ترتر أنه جاء من صوت الأقدام، فكان ينادي عليه من الداخل: «تعال» «تعال»، لقد ترك ابني الباب مفتوحًا، فقد كان هنا قبل قليل. تملكت «قيمق» دهشة . . . آاااه . . هل لديك ابن، ظننتك تعيش بمفردك.

«لدي ولد واحد، كان يرعاني، وكنا نعيش معًا حتى وقت قريب، ولكنه تزوج الأسبوع الماضي».

أنهى طعامه من جديد، وترك الطبق على المنضدة: «لا

أريد أن أعيش معهما، استأجرا المنزل الملاصق، حيث يمكنهما المجيء عندما أحتاج إليهما».

جال «قيمق» بنظره قليلاً في الغرفة؛ حيث كان هناك القليل من الأمتعة، فهم السيد ترتر ما جال بخاطر قارئه، فقال: «أردت أن يكون الأثاث قليلاً في منزلي، فالفوضى تتعب عيني، وقد أعطيت أثاث منزلي لابني وجمع كل ما كان هنا..». فَقد أخذ حتى الأشياء البسيطة، إلاَّ مكتبتي.

«حَسَنٌ أنك لم تعطه المكتبة .. لكن .. متى صرت قعيدًا؟

قبل أربعة أشهر ... في منتصف الليل، تغيرت حياتي فجأة عندما أردت أن أنهض كي أشرب في منتصف الليل، فلم أستطع، ولم أتمالك ساقي...

آاااي ظننتك تعرضت لحادث، هل ستظل على الكرسي المتحرك مدى الحياة؟».

«غالبًا، فقد قال الأطباء لابني: «لن يستطيع المشي، لم يقل لي، ولكني فهمت من عينيه».

كأنما كُرَة من الجمر سقطت داخل «قيمق»، فما أصعب الحياة إن لم يكن لديه أقدام! ربما يبحث آنذاك عن الأيام المملة

التى عاشها مع جدته بشمعة. لن يذهب إلى المدرسة، لن يتمكن من اللعب مع الفريق، ولا زيارة الحدائق، ولا الوصول إلى علبة الشيكولاتة الموجودة في الرف العلوي للدولاب.

«أفٍّ . . من يعرف كم أن الجلوس مؤلمٌ؟».

«آه . . هكذا لن أسأم، ولن تكون دروسي مملة، ولكن يقولون الشيء يصير سهلاً عندما تصل إليه، ربما يكون الرجل الذي تراه مثبتًا على الكرسي متضجرًا قليلاً من الناس الأصحاء.

فأهمية التنفس، وأَخْذ نَفَس فى أي يوم يختلف من شخص إلى آخر، » يقول أبي: إننا قد نفقد أشياء مذهلة، وقد وقع هذا على رأسى ذات يوم.

كنت أفكر فى ذلك، كان قد ولد قط جميل، كان ينام على المسحة ليلاً، وإذا وجد الباب مفتوحًا يدخل ويتمسح بقدمىَّ، وكنت قد تعودت على تدليله، ولكني قذفته دافعًا إياه خارجًا، وذات يوم فتحت الباب فلم يأتِ، وأقبل الليل والمسحة فارغة، وكنت أبحث عنه في كل مكان عدة أيام، ولكن دون جدوى، فلن يعود من المكان الذى ذهب إليه. والآن أينما رأيت قطًّا نظرت إليه قائلاً: أيكون هو. فإن

وجدته، فلن أبعده عني ثانية، للأسف قد يكون وجد منزلاً جديدًا سيطعمه، لكني أشتاق إليه . . فهل سأراه ثانيةً؟

أحيانًا بين الحين والآخر آه، ليس هذا مهمًا جدًا، فربما أذهب إليه في المنام، أعرف أن الاقتناع برؤية المدن التي أريد رؤيتها في التلفاز، وأنا مُصِرٌّ على معرفة أشياء جديدة، والتعرف على دول جديدة حتى اليوم الذي سأموت فيه.

سرى هذا الكلام داخل «قيمق»مسرى الشراب اللذيذ، ولمعت عيناه قائلاً: "سأساعدك، وسأنقلك إلى المكان الذي تريده". ماذا بك؟ لا تسأم، فسأقص عليك ما أنهيته.

«شكرًا، أنت فتى شجاع يا بني، للأسف لو احتجت شيئًا سأطلب مساعدتك"، "وأنا سأفعل كل ما تطلبه عن طيب خاطر . . . آه . . ما مهنتك؟»

«كنت قد أُحلت إلى المعاش قبل خَمْس سنوات، وكنت أقوم بصيد السمك، أتعرف . . فقد ولدتني أمي في مركب . . . فأنا أعد رجلاً بحريًا بالفطرة . . . فقد يعود المولود في البحر إليه يومًا. فقد حدث لي ذلك، فبينما ينام الناس صباحًا أخرج للسمك، وأعود ظهرًا، وأتشاءم من الصباح الذي لا أنهض فيه».

«لكن، هذا ظلم».

"صه، فالحياة كذلك، لا أريد أن أكدرك، صدقني لست سيئًا حتى مع حالتي هذه، أَخْرج للحدائق حيث الهواء الطلق، ويأتي أصدقائي الصيادون، ونقوم بإصلاح الشباك معًا، وتَجْذبني رائحة البحر التي تحملها الشباك.

لا تُهَوِّن وتقول مجرد رائحة، فهي تحمل الإنسان إلى حيث يُريد، قد يكون إلى الطفولة، أو إلى رحلة مركب، أو إلى حلم قديم، يختلف بين أصدقائي الصيادين الذين يبحثون عني بين صيد وآخر. ولو انتهيت في البحر يقضون عليَّ.

وفي الليل أصيد وحيدًا، لكن لا أقف كسلان، وإنما آخذ قلمي بيدي، وأراجع الشعر المكتوب.

«شعر؟ يعني أنك شاعر».

ابتسم الرجل: "لا يا عزيزي . . من أنا؟ مَنْ أنا لأكون شاعرًا؟ . . اجتهدت كثيرًا لكتابة الشعر، ولكني لم أستطع، فما كتبته كان ناقصًا، لم أكتب الشعر الذي أتمناه حتى الآن.

«ما أجمل حديثك! فقد ملأت نفسي بحب الحياة . .».

* * *

حزنت جدًا على جدتي، عندما عرفت ما حل لترتر بك،

فرجل مشلول يكون مغرمًا بالحياة كما لو كان غير مشلول. لو أنني كبير! سأخترع أقدامًا تعمل ببطارية من أجل المشلولين.

آهٍ . . «قيمق»! لم يفكر الكبار في هذا حتى الآن، بيد أن الطفل الذي يكبر استطاع من كثرة العمل إصلاح أجْنحة البطة التى صدم جناحيها، ذلك البوليس السري الذي يلعب بيديه.

آه . . لو كنت موظف صحة بدلاً من رجل التحريات الطائش الذي صار محققًا تافهًا . . فموظف الصحة، يتجول قريةً قريةً وشارعًا شارعًا، ويُطَعِّم ويحلل الماء، ويقيس ضغط الدم، ربما كنت أقي الناس من الأمراض.

آه . . ولكن أحتاج إلى وقت طويل كي تَصير أحْلامي حقيقة، فربما يكون الثلج أفضل في تلك اللحظة . . كنت أريد أن تثلج السماء على ترتر بك، ويصير ثلجًا، فألف جسده بفراشي الأبيض، وأسكب قوتي ذات الخصائص العلاجية عليه، وآخذ مرضه عندما يذوب ويتحول لماء وأمنحه الصحة. . عمي ترتر خفيف الظل، من يعرف كم هو سعيد! كان يقول: "أصبت بالشلل في ليلة، ووصلت إلى صحتي فى ليلة. هكذا حياتى مُدْهِشة إلى هذا الحد. . هكذا كان يُردد فى حديثه.

* * *

كان «قيمق» يَجْلس أمام النافذة وقت حلول مساء ذلك اليوم، إذا ما وجد شيئًا يريد أن يفكر فيه فهو ترتر بك.

«فجأة كنت أشبه ترتر بك بطائر الحَسُّون وهو مكسور جناحه، موجود في الشرفة المقابلة. كم تختلف طيور الحَسُّون عن بعضها، فهي تُغني في مواجهة الشمس والسحب والجبال في بَهْجة طوال اليوم. كما تَحُط على حديد الشرفة والكرسي في قفزات متتالية.

ويروي باستطراد أشياء للطيور الأخرى الموجودة على الشجر.

آهٍ .. ساعي البريد .. رأيت ساعي البريد «كَولريوز» أى باسم الوجه، وهو يأتى فى الناحية المقبلة، فهو يحمل خطابات حى «باليه» منذ ثماني سنوات، فقد كان من العمال المحبين لعملهم، ولكن للأسف سيتقاعد في المنزل من مصلحة البريد عما قريب، فقد أمضى نحو تسع وعشرين سنةً وتسعة أشهر في مصلحة البريد.

كان «كَولريوز» يفكر فيما أمضاه؛ حيث إن كونه ساعي بريد يمكن أن يكون هو طريقه الأمثل لمعرفة الدنيا.

يقول: «أنت لا تعرف لا الشَّوارع ولا المَنازل ولا الناس،

بينما تحمل أظرفًا من مكان إلى آخر، وبسبب كثرة نقل الخطابات لفترة طويلة في نفس المدينة، يعرف كل فرد ممن يعيشون في المَنازل، وهكذا تصير هناك ألفة بينه وبين الناس، حيث يعرف مِمَّنْ يأتي الخطاب، ولِمَ، ومَنْ ينتظر خطابًا، ومِمَّنْ ينتظره، وما يقوله.

كان يبدو في عيني "كَولريوز بك" أن توصيله الخطابات للناس يُعد واحدًا من أهم الأعمال التي قام بها، فهو يعرف أن التوصيل بسرور في غاية الأهمية، يقول: "يُجمل كل خبر يُعطي بِبَهْجة"، أما عن إعطاء الأخبار المؤلمة، فهو لا يحبها قط، يخفف على الإنسان المهموم، فهو يحنى أكتافه، ويُقلِّص جسده، ويحنى رأسه إلى الأرض.

«لا يمكنني أن أطيق انكماش إنسان أمام عيني، بينما كان يحمل رسالة لمنزل السيدة «كَوربه كَول»، كان يمر قائلاً: «لو فُتِح الباب على الأقل». فهو يُحب تَسليم الخطاب ليد الشَّخص المرسل إليه، وليس إلقاءه في صندوق البريد؛ لأنه يفكر قائلاً: «تختلف الإثارة من شَخْص إلى آخر عند استلام الخِطاب وفتحه».

فهو يحمل الرسالة دون أن ينظر فيها لمن أرسلت، ويقول:

«يمكن أن تبقى وجهًا لوجه مع الرسالة قبل مَعْرفة ما بداخلها، وربما يأتي من ينتظر رسالة لا يثيره أحد القادمين من البريد، ومن يمد يده لاستلام الظرف بابتسامة خَجولة، ومن يَفْتحها وهو مُرْتَعش اليدين.

عندما تأتي رسالة للسيدة «كَوربه كَول»، في الحقيقة يَقْرع الباب، وينظر من النافذة، ثم يضع الخطاب في الصندوق، والذى سيأخذ بدوره بهدوء من النافذة.

ولكن لحسن الحظ، لم يحدث هكذا هذه المرة؛ حيث كان «قيمق» يرى ساعي البريد من النافذة، فَفَتح له الباب قبل أن يَقْرعه. كان عندما تتأخر الرسالة على "كَوربه كَول" لا يكون عليها إلَّا أن تقول في سياق الكلام: «لا أنتظر رسالةً من أحد».

يقول مبتسمًا: «تكُون الخطابات غير المُنْتَظرة هي التي تُغَيِّر الحياة»، «في الواقع إن حياتي تغيرت عندما التحقت بعمل جديد».

«اعرفه، ستقرأ الكتب على ترتر بك، فأنا أحضرت له فاتورة الكهرباء، وتسامرنا من ثلاث إلى خمس دقائق، فترتر بك رجل جيد، ولكنه لا يتحرك قط، لا يمشي، ولكنه قال إنه يمكن المشي في أحلامه».

قال ذلك «ما سيفعله لا شيء».

متى التحقت بأول عمل؟

لقد التحقت بعملي الأول عندما كنت في مثل سنك، فقد أرسلنى أبي إلى الخباز كي أعمل عنده، فكانت يداي تؤلمانى من إمساك الخبز الساخن، ما أجمل الانطباعات الأولى لأول يوم فى العمل!

نظرت ليده . . .

مدَّ «كَولريوز» يديه بضحكة طفل "إنها ليست محترقة . . بل عجوزة".

كان يبدو خط بنى اللون موجود على حافة مِعْصَم ساعي البريد.

«لم يكن هذا الأثر من الخِبازة، وإنما كان قد لمس مِعْصمى مِحْراق الخبز المتوهج». «لا تنظر».

لمس «قيمق» أثر الحرق الموجود في معصم «كَولريوز» بإصبعه بهدوء.

كنت تقول: «تترك الانطباعات الأولىآثارًا . . في الواقع تركت عندك أثرًا لن يمحوه طول العمر».

كان «قيمق» يتلوى من شدة الفضول، نظر بدقة إلى الدَّمْغة

والطابع الموجودين على الظرف: «آهٍ . . ألْقِي من باريس قبل ثلاثين عامًا كاملة، لقد طعن هذا الخطاب في السن».

كان اسم جده على الظرف، حيث أرسل إليه، وكان «قيمق» ابن ثماني سنوات بالكاد عند وفاة جده.

ذهب جاريًا في الداخل، وكانت جدته نائمة على المقعد، فلم يوقظها. فتح الظرف، فَتَحه من طَرفه بهدوء، ونظر داخله، هيييم! هذا الخطاب تَنْبعث منه رائحة نادرة! كالكعك الموجود لدى ساعي البريد! أتى خِطاب طويل للغاية إلى جدي.

لم يكن سينتظر استيقاظ جدته، ذهب إلى غُرْفته وفتح الظرف، وبدأ في قراءة الخطاب.

كان الخطاب يبدأ بـ «آااه . . انظر إلى الملك . .».

عندما قرأ الأسطر الأولى، فهم أنها حَدُّوتة كتبها شخص لجده.

اضطجع على سريره، وبدأ قراءة القصة بتلذذ.

* * *

آااه . . انظر إلى الملك . .

يُحكى أنه كان هناك ملك غَني في إحدى الدول، وكانت خزائنه مَلِيئة بالذهب حتى فُوَّهَتها، كان يُتابع سير الأعمال

في دولته، حيث يحْضرون إليه على الفور طلبات الشعب، وتُجمع الضرائب بأمر منه فورًا. . ولهذا لم يكن لديه الكثير من العمل. .

وكان إذا أراد أن ينادي خَدَمه يأخذ آلة السَّكْسَفون المعلقة على الحائط، فقط بهذا الحد. كان قد تَزوج الملك بواحدة من أجمل فتيات الدنيا، اختارها لتكون ملكة في حفل خاص، قد دعيت إليه بنات الدولة الجميلات.

كان لدى هذا الملك الذي يظنه الجميع خالي البال وسعيدًا جدًّا، كانت لديه هُموم كَبيرة جدًّا، كان لا يوضح ذلك لأحد، لهذا السبب كان الألم ينهشُه. ومع مرور الوقت، لم يُلاحظ أحد حتى الأقربون لعالمه أى شيء. . لم يلاحظوا أنه حزين، فمنذ عهد قريب لم يُمكِنه أن يرى حلمًا، على الرغم من أنه

يَمْضي القسم الكبير من يومه نائمًا. نعم لقد كانت المشكلة الكبيرة لهذا الملك أنه لا يستطيع أن يرى حلمًا، ولا أن يضرب في الخيال. . . .

وذات صباح، بينما يتناول الإفطار مع زوجته الملكة، اتجه إليها، وسألها: هل هناك شيء غير عادى؟ فأنا لا أستطيع أن أرى رؤيا قط!".

أطلقت الملكة ضحكة فاتنة مُلْقية رأسها للخلف، وقالت: «انظر للشيء الذي تفكر فيه، أنا أيضًا لم أر أى حلم. . ، ولكن لم أهتم بهذا حتى اليوم».

قال الملك: «ما أجمله! ليتني نَجَحت أنا أيضًا في عدم الاهتمام . . .».

قالت الملكة: «اطرد . . اطرد . . اطرد هذه الأفكار من رأسك، "وسترى كيف سترتاح» . .

ربما يجتهد الملك للابتعاد عن هذه الفكرة هازًا رأسه ويَدَيْه كأنما يود التخلص من بعوضة لاصقة، ومن الطبيعى ألا يحدث . .

قرر استشارة أستاذه الحكيم، فأشار أستاذه الحكيم بمجرد أن استمع إليه إلى التاج الذي يَعلو رأسه، وقال: طبيعي ألا ترى رؤيا طالما أن هذا التاج البديع على رأسك، فلا حاجة بك

إلى رؤيا؛ لأن كل أحلامك أصبحت حقيقة».

حك الملك بين شفتيه وأنفه طويلاً. وقال: «صحيح، ولكن لن أستطيع تحمل عدم قدرتي على رؤية الأحلام طوال العمر».

في منتصف تلك الليلة تَرك تاجه على وسادته، ودَسَّ رسالة تحت وسادة الملكة، احتوت على تلك الكلمات:

«لا تُؤاخِذيني لأني سأتركك بمفردك، أختار هذا الطريق، لأنني لا أسْتَطيع المُجازفة بمقابلتك وجهًا لوجه، سامحيني، نلتقي قريبًا».

نزل الملك إلى قبو القصر، وارتدى ملابس الخدم المهلهلة، الذين يعملون في أعمال تَنْظيف القصر، ومضى على ذلك، بينما كان يرتدي الملابس كان يقول لنفسه: «ربما كانت الملوكية عملاً غير مناسب، ليست هى العمل المناسب لي».

كان ببغاء القصر يتعقبه سرًا. أتى الملك إلى مَزْبلة سيرًا على قدميه، كان في المزبلة جحافل من القطط بطونها ممتلئة تنام نومًا عميقًا.

كان الملك يُشاهد القطط بذهول، فهو لم يكن قد رأى قططًا بكل هذا القدر من قبل، كانت تعلوها السماء الزرقاء

قاتمة وسرب من النجوم المتلألئة يعلوها .

أدرك الببغاء أن الملك هو الذي ينظر إلى النجوم، فقال: «ليست هذه نجومًا . . إنما هي عيون القطط، فقد ارتقت إلى السماء بعيونهم بينما هم نائمون بحثًا عن أحلام» .

نظر الملك إلى الببغاء مُغْبِطًا، وقال: «ويحًا، حتى أولئك يمكنهم رؤية أحلام» .

وطارد الببغاء وهو ثائر، ولكن الببغاء كان يواصل تعقبه له كالمراوغ. اقترب الملك إلى جانب القطط، انزوى بينهم بهدوء، وأراد النوم، وفكر قائلاً: «ربما تكون الأحلام معدية فتنتقل إليَّ". أراد النوم. . النوم يالها من كلمة . . ربما لم تصل إليه بعد. . ، غاص هنا وهناك بين الحصى والتراب، فلم يجد راحة بأى شكل ، كان قد سلك الطريق من جديد وهو يغالب النوم.

رأى حَشدًا مُبْتهجًا في ركن المدينة، عندما اقترب منهم اكتشف أن الحشد عبارة عن فرقة مُوسيقية وقد تجمع الشبابُ حولها ليستمعوا إلى موسيقاها. . ولج بين الحشد، فغمزت الفتاة الشقراء الموجودة إلى جواره بعينها، غمزت للملك بتودد وحب، وقالت: "هل تعرف يا عماه، هذا المُطْرب إنه

هو أمير أحلامي».

فصار شعر الملك زَيْتي الملمس من العرق، نظر الملك بملابسه المهلهلة ووجنتيه الحمراوين بذهول إلى المطرب وابتعد الملك على الفور من جانب الفتاة، وشعر بالذنب لعدم كونهما أميرًا وأميرة، هكذا حتى في أحلامهما.

وفي الطريق صادف شابًا بائع أزهار، صنع شجرة من الأزهار متعددة الألوان، أعجبت هذه الشجرة العظيمة الملك، ولم تَرْتح نفسه دون أن يَسأل قائلاً: «كيف أبدعتها؟»، قال الشاب بائع الأزهَار: «رأيتها في حلمي، وعندما استيقظت

اجتهدت لعمل شيء مطابق لها».

ساور الملك شعور بالنقص، وقال: «أدرت حروبًا لا يستهان بها، ولم أر في حلمي أيًّا منها قط". أنجزتها بعد أن استشرت خبرائي وقادتي، ولم أشعر بحاجة إلى التفكير». ابتعد عن بائع الأزهار بخطوات سريعة قائلاً: «حتى لا نَسمع ما يقولونه».

وبينما كانت الشمس ما تزال تُشرق، خرج أمامه طفل يسير وهو يفرك عينيه. . وسأله قائلاً: "هل صادفت ساعي البريد يا سيدي؟

قال الملك: لا، ماذا تريد منه؟

قال الطفل: رأيته في حُلمي هذه الليلة، سَيُحْضر لي رسالة من صديقي.

ما سيقوله لا يدهش الملك، وقف يحكُّ بطنه وأنفه ورأسه، وقال: لم تزعجني رسالة قط، كل الرسائل التي أتت إليَّ كانت مِمَّن يريدون شيئًا مني، ويقرؤها مساعدىّ قائلين: أنت بخيل يا عزيزي.

يا للعجب! يرى كل شعبي، الكبير والصغير، والقط

والطائر، يرون رؤيا، أما أنا فلم أرَ رؤية واحدة خلال تلك السنوات، انظر، ذلك ليس عدلاً.

أثناء ذلك اصطدم ضوء بعينيه، فسار تجاهه منهك القوى، فكان هناك مَقْهى، وكان القَهْوجي قد وضَع ماء القهوة على النار، ويَمْسح الزجاج بنشاط. فكر الملك قائلاً: «كم من الناس بدءوا العمل في تلك الساعة المُبكرة، لو كنت في القصر، فما أجمل النوم في تلك الساعة!!»

دخل المقهى، وحيا القَهْوجي، وسَحب كُرسيًا من أمام النافذة، وجلس. لفت انتباهه ضوء داخل قبو المنزل الموجود في مواجهته، فألقى نظرة، حيث كانت هناك فتاة تكتب كتابة دون أن ترفع رأسها.

عندما دخل القهوجي المَقْهى سأله الملك قائلاً: "ماذا تَفْعل هذه الفتاة في تلك الساعة؟

ابتسم القهوجي خلسة من أسفل شاربه، وقال: إنها «بائعة الأحلام»، كل يوم تَضْرب في الخيال، ثم تجلس وتكتب ما تتخيله، ولديها كتابٌ مَطْبوع منه نسخ عديدة، ونقرأ ما تكتبه بحب..

قال الملك: «هكذا.. وجدت ما أبحث عنه».

وانطلق خارجًا زاجًّا كيسًا من الذهب في يد القهوجي دون أن ينهي شرب قهوته.

قرع باب المنزل، فتحت الفتاة الباب ذُعْرًا.. سألها الملك قائلاً: "أيمكنني الدخول، وكان صوته يَرْتَعش وهو يتحدث.

نظر الملك إلى عينى الفتاة التى تدلى شعرها وبدت عيناها مجهدتين.. وقد غطاهما إفرازات التعب.. كانت فكرته الأولية"! ما أقبحها من فتاة.. أما كلمته الأولى .. فكانت.. " أرسلنى القهوجى المقابل..وقال : إن لديك أحلامًا للبيع". وهى تغالب وتُدارى ضحكتها بين أسنانها: تفضل بالدخول.

اندهش الملك من بساطة غرفة الفتاة. فقد كانت الغرفة الشاسعة لا تحتوى إلا على منضدة وكرسيين اثنين فقط. والجدران من أسفلها إلى أعلاها مغطاة بالكتب.

قالت الفتاة: «هل تبحث عن حلم مَعْروض للبيع؟». أنا لا أعرف هدفك، ولكن يمكنني إهداؤك كتابي القَصَصي، فناولته واحدًا من الكتب الموجودة على المنضدة.

بينما كان الملك يَسعى جاهدًا لمسح عَرقه المُتدفق والمتراكم على جبينه، قال: "ليس كذلك، فأنا لدي مشكلة ضَخْمة، فأنا

شَقِي، لأني لم أر رؤيا منذ سنوات، ولم أَضْرب في الخيال. .

ابتسمت الفتاة وقالت: "ليس سهلاً أن تضرب في الخيال. وأظهرت أقحوانة واقفة في كأس على المنضدة، وسألت الملك: انظر إلى تلك، ماذا ترى؟

بينما تتحدث الفتاة بدت جَميلة جدًا للملك.

أجاب قائلاً: "أقحوانة، ليست شيئًا غريبًا، لأنني أصادفها في كل يوم في المروج، وهكذا تقف في الماء".

أخذت الفتاة الكأس بيدها، وبدأت توضح.

«هذه الأقحوانة اللطيفة التى نشاهدها ببهجة، مدركة أن عمرها يقصر بحصولها على الماء وانفصالها عن الأرض، لهذا السبب تعرف قيمة اللحظات التي تعيشها. إنك تراها غير عابسه لكنها فى الحقيقة مضجرة جدًا، لذلك لا تجد طيورًا أو

حشرات تقصدها، فقالت الفتاة: لا يمكن أن تسير أى مهنة بالنجاح نفسه دون أن تَضْرب في الخيال، فالترزى لا يستطيع حياكة ثيابه التي لا يمكن أن يتخيلها، أليس كذلك؟!

سخر الملك من كلامها، واستمرت الفتاة في محادثتها، وقالت: «هل سمعت باسم لِيُوناردو دى وينسى؟».

قال الملك: شيء . . غالبًا . . لست متأكدًا، ولكن حتمًا يعرفه خبرائي".

هذا رجل كبير ضرَب في الخيال، ونظَر إلى الطيور المعلقة في السماء، وفكّر في أن الناس يستطيعون أن يطيروا في أحد الأيام، وكان الذي خطط الطيران الأول مستوحيًا أجنحته من الطيور.

نظر الملك بحب إلى الأشكال التى رأى بها وجه الفتاة، بينما هي تتحدث، وقال فى داخله: هذه أجمل وأعقل فتيات الدنيا.

سألت الفتاة الملك قائلة: «ما مهنتك؟».

تلعثم الحديثُ في فم الملك، فترك كيسًا من الذهب على المنضدة، ووضع كتاب القصة في جيبه، وابتعد عن هناك".

بعد هذا اليوم لم يكن هناك مَنْ رأى الملك. قال الببغاء

إنه – أى الملك يضعُ قلبًا مَصْنوعًا من الأزهار على باب منزل الفتاة بائعة الأحلام.

وبعد سنوات خرج واحدٌ وادَّعى أنه يظن الملك كان عازفًا للسكسفون فى جماعة المطربين المتجولين الذين اكتسبوا شهرتهم باسم «قطط الشارع». صدّق البعض والبعض الآخر قال: أصابه الخبل.. ومضى لحاله..

آآ.. نظرًا لعدم عودة الملك إلى قصره، فقد استطاع أن يضرب في الخيال، أليس كذلك؟

* * *

حَوَّلت الرسالة فؤاد «قيمق»إلى مكان سُوق موسمى. «كانت هناك عواطف وَرْدية مزهرة فى داخلى، بينما كانت هناك علامات استفهام مكدسة فى عقلى... العواطف المتوردة والمتشعبة داخلي كانت علامة استفهام مكدسة في ذهني».

شَخِص بعينيه إلى السقف، وبدأ يُفكر: "يا تُرى أين هم في تلك اللحظة.. الملك، مطربو الشارع، الملكة، الببغاء، أين هم ياتُرى..؟

تعلق بعينيه لمعان صُفرة الذَّهب في ركن السقف المعتم "آااه! هذا تاج الملك؟ اعتدل على السرير، وفَرك عينيه بدَهْشة ونظر ثانية إلى

اللمعان الذي شَبَّهه بالتاج ؛ فكان هناك شيء يلمع بشدة، وأتى إلى حالة رأى فيها حزام الملك المَطْلِي بالذهب وقد بدأ فى اللمعان، ورويدًا رويدًا تجلى له حذاء الملك ورأسه وجسده. . ورويدًا رويدًا بدأ يظهر على الملأ. .

«آااه . . هذا هو الملك» .

رد صوت أحدهم على صوته: "أوه ياسيدى، أكنت حبيسًا في هذا الظرف الذى يزداد اصفرارًا مع الزمن منذ ثلاثين عامًا؟

فرك «قيمق»عينيه جيدًا، حيث ظن أنه رأى رؤيا فقال الملك: "لا تقف وتفرك عينيك هكذا، أنت لا ترى رؤيا، فقد كتب صديق هذه القصة لجدك، ولكن موظف البريد كان كسولاً، فقد زج بها إلى الملفات سَهْوًا، وغاب عن الأذهان، وظل بعيدًا.

صاح «قيمق» قائلاً: «واأسفاه».

«أنت الملك حقًّا»، أتيت من زمن بعيد لتخرج من غرفتي، لن تخرج من غرفتى قط، ستقص لي أقاصيص الزمن البعيد، فقد سئمت جدًّا درس التاريخ، فنحن أصبحنا في عصر الخيال العلمي، والحاسبات وأنت لست مطلعًا على أي من هؤلاء.

أنا . . لم أعد أنا الملك، ولا أفهم ما قلته، ألم تقرأ نهاية القصة؟ أنا مطرب الشارع.

ولكن ملابسك هى ملابس الملك.

لماذا تنظر إلى الملابس؟ قل الآن لأنظر إلى نفسي، هل سمعت أن آثار الموسيقى تُبْلى؟

تَعْني أنها لا تُبلى؟

نعم لا تُبلى، فَهناك لغة في العالم لا تُبلى، تلك اللغة هي الموسيقى، فلا يُبلى الموسيقيون عندما لا تُبْلى الموسيقى، فهم

يسايرون العصر في كل زمان.

تقول الصواب، كان والدي يحب الموسيقيين الذين سمعهم في صغره، ولكن أين ملك الفرقة الموسيقية؟

حقًا أين هم؟ التفت حوله أسفل السرير، لن أجدهم، شيء . . أين تكون الملكة؟

«الملكة . . آه . . سيدة سيئة الحظ، من يعرف الآلام التي حلت بها، لقد اشتقت إليها».

«آه . . نعم أنت الملك، ذهبتَ تبحث عن الملكة، هيا هيا، استيقظت جدتي فجأة».

زج «قيمق» بالملك نحو الحائط بهدوء، وكان يثبت الملك على الحائط بينما يدفعه، زال الملك بعد أن استقر في الحائط.

* * *

عندما ذهب «قيمق»في صباح الغد إلى المدرسة، ترك الرسالة بهدوء على المنضدة. فيا له من مسكين، ماذا يفعل . . ؟ كان يخاف أن تسأله جدته سؤالاً وسوف توبخه . . : آآى . . إن جدتى مثل الصبَّار . . حتى لو لمستها برفق فإنك تتألم . .

رأت "كَوربه كَول" الرسالة عندما كانت تنظم منضدة

الإفطار، فكرت قائلة: على أي حال أتت الرسالة لقيمق من أمه.

كانت مَذْهُولة لعدم ذكر«قيمق»، أى شيء عن الرسالة، غالبًا هناك أشياء لا أود أن أسمعها.

على الفور التقطت نظارتها المُقَرِّبة. اندهشت.. عندما رأت اسم زوجها على الظرف، وقالت: «آاااه! هذه الرسالة كتبها شخصٌ لا يعرف أن زوجها مات».

جلست على مقعدها، وفتحت الظرف وبدأت تقرأ الرسالة، قائلة: "آه! تخيلت أنها رسالة، بيد أن شخصًا كتب قصة وأرسلها أولاً. لم تشأ أن تقرأ الرسالة.. ثم فكرت قائلة: فى كل حَدُّوتة نَصيحة خَفية، لنرَ من أرسل هذه القصة، وماذا أراد أن يقول لنا. كانت القصة قد أسرت «كَوربه كَول» فقرأتها مرة ثانية وثالثة، لم تعرف صديق زوجها الذي أرسل له الرسالة من باريس.

وقالت: لم يتحدث زوجى لي عنه قط.

وبدأت السيدة «كَوربه كَول» في النعاس على المقعد، بينما كانت ستقرأ القصة مرة أخرى..

وعندما استيقظت شعرت أنها شابة نشطة، وكأن الآلام

الموجودة في كتفيها وظهرها قد زالت، وعندما تتمطى ترفع ذراعيها لأعلى، وتقول: "هذا النوم أفادني". ثم نهضت وقبعت على الأرض، وقالت: "كنت لا أستطيع عمل هذه الحركة قط، وأتاني شعور جميل".

فتحت جهاز مُشَغل الأسطوانات الذي لم تفتحه منذ زمن بعيد، ووضعت أسطوانة. وقالت: "يا للعجب!" أنا كالملك الموجود في القصة، لم أرَ رؤيا منذ زمن بعيد. فقد نقلتها الموسيقى إلى أيام بعيدة جدًا، إلى الحفلات التى ذهبت إليها في شبابها.

"حتى الآن لماذا لم أُشغل هذه الأسطوانة"؟

فتحت خزانة ملابسها، وأخرجت أحد فساتينها، الذي ارتدته في أيام بعيدة جدًا، فستان وردى ياقته مكشكشة، مَشَّطت شعرها، وجعلته متناثرًا. كم أصبحت لطيفة ولم تعد نفسها تسع نفسها...

انسجمت مع الموسيقى. شعرت أنها لا يمكنها الوقوف، فضغطت بقوة على أطراف أصابع قدميها، كانت تريد أن ترقص، فعلت الحركة الأولى بهدوء. ثم توالت بعد ذلك. وبينما كانت ترقص كانت الصلابة الموجودة في ساقيها تلين،

والآلام تقل، فجالت كل المنزل رقصًا حتى خرجت إلى الشرفة، فهي لم تشعر بهذا القدر من السعادة من قبل.

بينما كان «قيمق»عائدًا بعد الظهر إلى المنزل، رأى «بالدوداق» وبدون سبب ظهرت أمامه فجأة، كانت خارجة من عند بائع فاكهة مُجففة، وفجأة وجدت نفسها أمامه، حتى ذلك اليوم لم يكن «قيمق»قريبًا من «بالدوداق» بهذا القدر، فقد كان زفيرها يلامس وجنتيه، هل هذا قليل؟ فبدأت وجنتاه تحترقان لهبًا، وقلبه يركض كأنه فى سباق الماراثون.

فكر «قيمق» قائلاً: «لن أدع هذه الفرصة تضيع مني»، ماذا قالت بائعة الأحلام الموجودة في القصة؟ لا يستطيع الترزي حياكة ملابسه التي لا يراها حلمًا"، وقد رأى «قيمق» هذا الحلم ملايين المرات، وفجأة ارتسم الحزن على وجهه وقال: هل ينبغي أن نذهب إلى السينما معًا في العطلة الأسبوعية.

كان قد هرب من «ترتر بك» في ذلك اليوم، فمن شجاعته قوله بلسانه: «سأدفع لك نقودك من الجمعة إلى الجمعة».

لم تقل «بالدوداق» شيئًا، ولكن نظرت إلى «قيمق»ببرود مسقطةً نظرها على طرة الثمار الجافة، فتحول «قيمق» كتمثال من الجليد.

عندما ابتعدت الفتاة عن المكان، كان يَسْمع فرقعة من داخل العشب والتراب الذي تركه خلفه، فصار قيمق كالمضروب قائلاً فى نفسه: ، هل كان من السهل علىَّ الالتحاق بعمل من أجل التمكن من مرافقتها إلى السينما.

* * *

لم يكن «قيمق»يرغب في العودة إلى منزل جدته. وهو مقبوض الصدر، فجلس على حافة الرصيف ينتظر ذوبان الجليد. فكانت شفتاه جياشة بالكلمة التي قالها عندما كان مبتلى في رأسه من الداخل. "تلافي" تلا فريش . . . تلا . . .

حيث كانت شفتاه جياشتين بتلك الكلمات السحرية التي سمعها في فيلم كان يقول "تلافرش" من أجل إزالة المصائب التي حلت برأسه. والتي خطرت على باله. وبمجرد أن قال تلك الكلمات السحرية، صار كما أراد. ياه . . الحياة مليئة بالمفاجآت، من يعرف، ربما تكون «بالدوداق» نادمة وتعود إليه وتقول موافقة، يمكن أن نذهب معًا إلى السينما".

عندما دخلت السيدة «كَوربه كَول» الشرفة وهي تَرْقص رأت «قيمق»وهو جالس على حافة الرصيف، فنادت عليه، واستدعته إلى المنزل.

«قيمق، تعال إلى المنزل».

اندهش «قيمق»، فلا يمكنه أن يُصدق عينيه، فأغلقهما وفتحهما، وأغلقهما وهو يقول:

«هل تلك السيدة التي في الشرفة جدتي، كم تبدو شابةً في ريعان شبابها!».

وجرى وصعد السلم بسرعة مثنى وثلاث. استقبلته جدته بفستانها الوردي عند الباب، وقالت: "تعال لتنظر يا بني"، لماذا أنت شارد الذهن ووحيد؟ ولماذا سَكَنت الطيور في قلبِك ولم تعد تغرد؟ هل أنت وحيد؟ كان قد فكر أنه شعر بالوحدة مع جدته، وهو يعرف ما ستقوله: "لم تقل الكلمة التي ينتظرها: أنت شقي، تجلس وتفكر أنك وحيد مثل طائر الكوكوماو.

فأطلق قبعته في الهواء من الدهشة: "تعال . . انظر يا بني . . . إلى ما سأريك إياه".

رافقته السيدة "كَوربه كَول" إلى غرفة نومها، وفتحت باب دولابها القديم؛ حيث كانت أرفف الدولاب مكتظة بالدهانات وقطع أقمشة وآلات موسيقية، وصناديق خشب، وأقنعة وأشياء أخرى.

أحضرنا أنا وجدك تلك الأشياء من جولات خارج الوطن. أنت تعرف أن جدك كان بحارًا، وقد رفض أن يتركنى في المنزل، حيث كنت أرافقه في كل جولاته البعيدة، فأنا لم أكن طبعًا كالوقت الحالي. أنت لن تعتقد أننى كنت قوية بهذا

القدر، وكنت مولعة بالآلات الموسيقية الخاصة بالبلاد التي ذهبنا إليها؛ حيث اشتريتها ونقلتها بحقيبتي. وانظر لتلك الدهانات فكلها طبيعية تحصل عليها من النباتات، ما أجملها فهي متعددة الألوان، وطبعتها جميلة!

منذ عدة سنوات لم أفتح سدارة هذا الدولاب عندما فقدت واحدًا . . اثنين من المقربين، فلم تعد الحياة مُبْهجة، ولكن اليوم حدثت معجزة؛ حيث أرسل شخصًا لجدك هذه الرسالة، لقد فتحت هذه الرسالة ضوءًا أمامي، وتذكرت ثانية أن العطاء هو لمن يستطيع أن يعطى للحياه معنى، وأعتقد أننى أستطيع أن أغوص فى الخيال لو بدأت أغير وأبتكر فى حياتى. . آه لو تعرف أنني لم أرَ حلمًا، ولم أضرب في الخيال منذ ثلاث سنوات.

أما أنا فأرى ما لا يقل عن خمسة عشر حلمًا كل ليلة . . بينما أستيقظ أضرب في الخيالات البعيدة.

أمسكت جدته طرفي تنورتها، وبدأت تدور على قدم واحدة مثل راقصة الباليه. لم يصدق «قيمق»عينيه: كفى . . وداعًا للملل والزهق. .

بينما كانت جدته تضحك بصوت عالٍ، لمس بهدوء واحدةً من الآلات الموسيقية الموجودة في الدولاب، وقال: ما

أجملها. مَصْقُولة ومغطاة بالعاج!

يظن «قيمق» أن السحرة صنعوا الآلات الموسيقية، فكيف يخرج الصوت من أنبوبة عادية ما لم يكن عمل ساحر؟

قالت جدته: «اسمه «سيجو»، فهي آلة موسيقية مَحَلية استعملها أهالى بوليفيا». هل السحرة البوليفيون صنعوا هذه؟ هل يمكنني أن أعزف عليها؟ كيف يُعزف عليها؟

هيا انفخ.. لنرى هل تستطيع إخراج صوت.

نفخ «قيمق» فى واحدة فقط من الثغرات، فاستحسنت جدته الصوت، وقالت: هل تريد أن تكون مذهلاً؟ كان من الطبيعى أن يقول لها: نعم، أحب أن أكون كذلك، فقالت: تعلَّم العزف على هذه الآلة، لكن ربما تسأم؟!

فكان «قيمق» لا يسأم معظم الوقت، كان سخطه قد ذهب وتناثر على «بالدوداق» كرغوة الصابون، قد تعلم شيئًا جديدًا بينما ينفخ في ثقوب الآلة الموسيقية، المسماة «السيجو» والتى تُخرِج أصواتًا مختلفة من كل قناة فيها، وكان «قيمق» يشبه الأصوات المختلفة بالأشخاص المختلفين، ويستطيع أن يعزف لحنًا جميلاً نافخًا ثقوب الآلة الموسيقية، والقنوات كلٌّ على حدة، مظهرًا أصواتًا رقيقة وغليظة. وكان يقول: أنا وجدتي

نعزف لحنًا مرحًا اليوم بصوتين مختلفين، وربما غدًا أعزف أنا و"بالدوداق" لحنًا جميلاً، لِمَ لا؟!

طفرت جوانح «قيمق»، وانحل الجليد الموجود في فؤاده، وبدأت الطيور الموجودة في فؤاده تغني.

* * *

شعر «قيمق» هذا المساء أنه سعيد جدًّا، وقد تسلى «بالسيجو» فترة، فالألحان أجلسته على أجنحتها، وسافرت به إلى النجوم، وكان يعزف لحنًا مليئًا بالنشاط. فارتدى ملابس من التل، وكان يرقص مثل راقصة الباليه الصغيرة: "آه . . لو كانت "بالدوداق" إلى جانبي! فقد اشتقت إليها كثيرًا هذه الليلة . . آه ماذا لو رأيتها! لو تمر أمام نافذتي . . تكون معجزة، ولو تنثر حوريتها الجميلة التراب السحري في حلقي، ولو نَجحت في عزف أغنية الحب الجميلة بآلتي الموسيقية «سيجو»، وتقف «بالدوداق» أسفل نافذتي، وتقول: «آسفة على جرح مشاعرك»، وتقول: «انتظرني أمام السينما»، آاااااه.

انتظر . . لقد تحققت المعجزة. . ناظرًا من النافذة على الشارع، «وبالدوداق» تُرى في الوسط. لكن لم تتأسف ثانية، تتأسف لماذا؟

إن «قيمق» يحب أن يضرب في الخيال؛ لأنه لا يستطيع الحصول على النجاح دون أن يضرب في الخيال.

آه .. لا تكذب الفتاة بائعة الأحلام الموجودة في القصة، على الرغم من تلبد الطقس تمامًا، لا يمكن أن يكون معرقلاً له، فخرج وأتت به قدماه أمام منزل «بالدوداق»، نظر في حب إلى حوائط المنزل، وإلى الأطياف التي تداعب الستارة، ولكن الحوائط والستائر كانت ..... تحول بينه وبين مشاهدتها.

تنهد قائلاً: «ليتني كنت ستارة غُرْفتها».

عندما عاد إلى المنزل مر بمحاذاة المرآة، ونظر ودقق النظر في عينيه، فإذا بنجوم خضراء وحمراء تتلألأ في أعماق عينيه، وبدأ يتحاور مع نفسه: «قل لي: كيف ترى «بالدوداق» «قيمق»، كيف تراه؟ فقد سُخرت الطبيعة الجماء بسخاء من أجل قيمق، وأعْطِي تراب النجوم، ولمعت حبة عينيه، وأسقطت حمرة الشمس على شعره».

أسرع في تقبيل صورته في المرآة، وامتلأت أذناه بصوت «بالدوداق» قائلاً: «أحبك».

كانت جدته جالسة على ركبتيها تشاهد التلفاز دون أن تضطجع، وكان الرجل والمرأة الموجودان في الفيلم يتحدثان

قائلين: «أين كنت؟ كنت هنا أستعد لكل الأعمال الجنونية معك، فسوف نقوم بالتجديف بأيدينا معًا في نفس البحر مدى الحياة».

آهِ لو أنني أستطيع أن أقول لبالدوداق شيئًا، من هذا الكلام الرقيق . . . . ".

في تلك الليلة كان «قيمق»يفكر في الملك وهو على سريره؛ حيث كان يحتاج إلى صديق مقرب كالملك، يمكنه فتح مشاعره وأخذ مشورته بين الحين والآخر. فكان يبحث عن بريق تاج الملك في ركن السقف المعتم، الذي رأى فيه الملك، ولكن لا يمكنه أن يرى، فأغلق عينيه، وقال: "سأعد حتى ثلاثة، وسيأتي الملك أو أحد غيره. واااحد . . اثناااان

. . ثلااااثه . . . لا أحد ولا الملك، لقد كان ما رأيته خيالاً، قال ذلك وغاص في نوم عميق.

استيقظ قيمق بعد غد على صوت جدته الرقيق، وهي تقول له: «قيييمق! صبااااح الخيييير».

عندما فتح عينيه كانت العصافير الخضراء والحمراء الموجودة في «كيمونوا» جدته تستقبله بزقزقة . . كانت تلك أول مرة ينهض فيها «قيمق» من سريره فرحًا منذ جاء إلى هذا المنزل، فكان يشعر أنه قوي البنيان، ومستريح إلى حد ما. وعند الإفطار قال لجدته: «هل تعرفين يا جدة، كأنما لست وحيدًا في هذه الدنيا».

قالت جدته: «أنت لست وحيدًا على الإطلاق، وأنا أيضًا لست وحيدة؛ لأن لدي حفيدًا أحبه».

وبدا كل شيء في ذلك الصباح جميلاً في عينًا قيمق، مائدة الإفطار، البيض نصف المسلوق، الشمس المبتسمة من وراء الغيوم، الأوراق الكستنائية المصفرة، عينا جدته.

لم يكن شيء قط سوف يكدره في المدرسة ذلك اليوم، لم ينهض للامتحان الشفوى، وأخذ تقدير جيد فى الرياضيات. ولم يَخْرج صوتًا ضد البابيون الوردي الذي علقه المعلم على

ياقته ، حتى «فيركوز» سمح له بالرسم بالبويات التي أحضرها له والده من ألمانيا للمرة الأولى .

بيد أنه سرعان ما يَغْضب كل يوم ، وتتكدس همومه . أم أن يدًا سحرية أعانته ليَمْضي اليوم دون أن يُصِيبَه حرج .

كانت بالدوداق هى مَنْ قامت بالتصرف الذى أضحكه وخلق البسمة على وجهه ، فعند خروجهما من المدرسة نفخت «بالدوداق» اللبان الذى تلوكه فى فمها حتى لامس وجه «قيمق» وما أن حاول التراجع حتى بلع البالون . . فقالت له : " نستطيع أن نذهب إلى السينما فى الحفلة الصباحية الساعة ١٢ ظهرًا .

لم يصدق «قيمق» أذنيه : "لنتقابل أمام سينما چاملك الساعة الحادية عشرة والنصف" .

ارتعش صوته، واحمر وجهه، وابتعدت عنه على الفور، وعادت للخلف قائلةً: «أود أن أجدف معك فى المحيط طوال الحياة».

شعر أنه في مأزق، إن ما قالته: "أريد أن أجدف معك في المحيط مدى الحياة". فقد تحقق فى خياله. ولم يكن يستطيع الاستقرار فى مكانه من الفرح، ودخل أحد الشوارع الخاوية الموحشة، وجلس على الرَّصيف مُخرجًا مفكرته من حقيبته، وملأ صفحات المُفَكرة التي كتب فيها عن «بالدوداق»، ملأها بكلمات الحب والقبلات، ثم طَوىَ الصفحات، ونَفْخ إلى السماء كلمات الحب وطيَّر إليها القبلات، فهو لا يعرف كيف يشكر الملك والفتاة بائعة الأحلام وغيرهما.

* * *

وفى وقت الظهر، وجد «قيمق» السيد ترتر يستمع إلى الموسيقى، فقد فتح الراديو حتى نهاية صوته، وقد سحب مقعده أمام المنضدة، وكأنه كان يتحدث مع نفسه أحيانًا أو أنه يكتب أشياء بسرعة في الورق الموجود أمامه، ثم يجعده، ويقذف به إلى الأوراق التي حشدها. لم يشعر بدخول الطفل من صوت الموسيقى. حيث كان يعمل هكذا بتلذذ، ولم

يرغب «قيمق»في إقلاق راحة الرجل، فجلس على بَرْميل الماء الموجود إلى جانب الباب، وبدأ يَعْبر من داخله إلى عواصم الدول الأوربية ويعددها، وقد حفظها له المعلم في الدرس اليوم، فلا يريد أن ينساها. فجأة . . بينما يقرأ السيد ترتر ما كتبه بصوت عالٍ، ثبت عينيه ورأى قيمق، وقد انفجرت منه ضحكة، فقال: "أليس من داخلك تقول: هذا الرجل قد أصابه الجنون"؟ فأنا أجتهد لكتابة الشعر منذ سنوات، وكل ما كتبته من النوع الذي سيقذف في الزبالة، غير أن هذه الموسيقى شعر أملاه شاعر على أحد له روح، فما أجمله!

لا يُريد «قيمق»التعليق على موضوع الموسيقى، هل هى سيئة أم جميلة؟ فهو لا يحب الموسيقى الكلاسيك، وإنما يحب موسيقى «الروك»، قال السيد ترتر" إن رقصات بدرودين بولوفتش عندما يسمعها الناس، فأى مكان لا يذهبون إليه؟ انظر، اسمع، . . ألا تشعر بالمرح وبنفسك في حفلة عرس قَرَوية؟

ماذا؟ . . يووو . . . .

سمع «قيمق»الموسيقى بأذن الروح، ولكن الموسيقى لم تنقله إلى الحفلات القروية، ولا إلى مهرجانات الكَرْز، فأغلق عينيه، وشعر أن النوم يجرفه. ما العمل؟ لقد استمرت

المقطوعة قليلاً . وانتقل الراديو إلى نغمة آخرى .

"هاه . . هكذا . . أحب هذه النغمة المرحة . . فهى تجعل دم الإنسان يغلى . .

أغمض السيد ترتر عينيه حيث كان يهز رأسه يمينًا ويسارًا مع إيقاع الموسيقى . انظر ، هل تسمع ؟ قاق الماء يغوص في الماء .

تلفت «قيمق» حوله باهتمام، ورفع المنشفة الموجودة على الطشت الموجود على الأرض، والذى امتلأ نصفه بالماء، وقال: «لا يمكنني أن أرى».

تابع السيد ترتر تصرفات «قيمق»، وظل يضحك وهو مُمسك بطنه: "لا تقف ولا تنظر إلى الطشت، أسفل المنضدة، الدولاب، قَاق الماء ليس هناك، إنه الموسيقى، لو عرفت كم من الحوادث تُخفيها الموسيقى، ليس الكل، بل ذلك الذى تشعر بقربك منه، فصوت الموسيقى يرسم للإنسان صورة، والآن هل أعرف صوت قاق الماء بمفرده؟ يووووو . . . فأنا أشعر بهمسات البحر والأشجار وابتسامة الماء.

قال «قيمق»: «هممممم!»، «قاق الماء؟ ماذا يكون؟».

طائر. . طائر بحرى. . ألم أقص عليك؟ أنا كنت أعمل بالصيد فى وقت ما. كان الصيادون وحدهم فى البحر، ولا يجدون ما يصادقونه. كانوا يخدعون أنفسهم بالطيور. . ويقيمون صداقة حميمة. . وكان القاق واحدًا منهم.

قال «قيمق»: "هـ هـ هـ ا . . كنت أظن الصيادين صادقوا نورس البحر . .لقد أردت أن أعرف مشكلة الموسيقى فحسب. أما الزيادة فستكون شيئًا أفضل. وأخرج آلته

الموسيقية «سيجو»، التي أعطتها له جدته، من شنطته.

«لدي الآن آلة موسيقية، أعطتها لي جدتي اسمها "سيجو"، أريد أن أخرج منها أصواتًا جيدةً. أخذ السيد ترتر السيجو من يد «قيمق».. وبدأ إخراج الأصوات التي داعبت أذنيه منذ النفخة الأولى فى الثقوب، وبعد بضع دقائق استطاع أن يعزف لحن «أغنية» إنهم يصطادون حجلاً صغيرًا فى الوادى، مع بعض التقصير البسيط.

آااا رائع ! هل عزفت من قبل على هذه الآلة؟

"لا .. ولكن راق لي الاهتمام بالموسيقى، يا صديقي الصغير، فأنت تستطيع بالناي الوصول إلى قلب الناس بسهولة .. هل تعرف ذلك؟

«آ . . . آه».

«لا بالكلام .. ولا بالتباهي بل بالموسيقى».

استقر وجه بالدورداق السمين في عيني قيمق...، فصاح قائلاً: «بيييبو... إذن سوف تسهل السيجو دخولي قلب بالدوداق».

كانت قد استقرت شمس تبتسم على وجهه، وترك نفسه لتدفق الموسيقى الآتية من الراديو.

انطلق إلى الحقول بمصاحبة «بالدوداق» برفقة الموسيقى،

وطاردا الفراشات، وركبا قاربًا شراعيًا، واتجها نحو الشمس الغاربة، وعندما اعتم الطقس شاهدا رقص حشرات اليراع. عندما قال السيد "ترتر" . . غصت بعيدًا . . إلى الأعماق، أفاق إلى نفسه بصعوبة . . أحضر الكتاب واقرأ علينا قليلاً لنرَ . .

أنهى «قيمق»الصفحة الحادية عشرة فقط، حيث قُرِع الباب . . فأمسك كلاهما أنفاسه، ونظرا نحو الباب، كان السيد "كَولر يوز" هو الموجود على الباب.

"مرحبًا السيد ترتر، كيف حالك اليوم؟

ليس سيئًا.

نظر ساعي البريد إلى الأوراق المبعثرة على الأرض، وقال: غالبًا اليوم ليس مناسبًا للشعر.

«آه . . الأمر كذلك . . فلم يحن اليوم المناسب للشعر قط. ليتنى أكف عن تجربة كتابة الشعر، سيكون أفضل . .

يووو . . . لا تستسلم بسرعة يا عزيزي.

«هل أحضرت الفاتورة؟».

«لا . . لدي لك رسالة».

«ليست لي . . من سيكتب رسالة لرجل في الثانية والسبعين

من عمره، ربما لابني».

«لا . . إنها لك».

طلب «ترتر» نظارته من «قيمق» ليتحقق من الكتابة الموجودة على الظرف.

قال لقيمق: «اترك الكتاب، وافتح تلك الرسالة» لنرى مِمَّن أتت الرسالة. العنوان صحيح. ولكن الطابع قديم ولكنه متعارف

عليه . ربما تكون من الرسائل التى تأخرت فى البريد .

عندما فتح «قيمق» الرسالة خرج ساعي البريد وهو يشير بيده مودعًا لهم : «إلى اللقاء» .

«آاااه! إنها حدوتة . . جاءت رسالة بها قصة الأسبوع الماضي لجدتي ، هـ هـ هـ . . يم! والظرف له رائحة الجاتوه ، كانت له نفس الرائحة ، هكذا الذي جاء لجدتي .

«اقرأ لترى كيف تكون هذه القصة» .

* * *

حكاية الصياد

كان صياد سعيد، ضخم الجسم، يعيش في كوخ صغير وبسيط في بلدة صغيرة على ساحل البحر. وكان هذا الصياد يصطاد السمك كل يوم صباحًا قبل طلوع الشمس، ويعود إلى منزله الموجود بجوار البحر قبل الظهر، ويقوم بتصنيف الأسماك طبقًا لأنواعها، ويأخذها ليبيعها في ساحة المدينة.

كان أهالي البلدة يَعْرفون وقت مَجيئه، وفي هذا المِعاد يجتمعون كل يوم في المكان الذي يضع فيه سبته.

كان الصياد يبيع أسماكه كل يوم خلال ١٠ أو ١٥ دقيقة، وقبل عودته كان يجلس على المقهى الموجود في الساحة، وينتقل من منضدة إلى أخرى، ويتسامر مع أهالي المدينة. وفي أثناء حديثهم كانوا يضحكون بصوت عالٍ، ويثبون وينطون من الفرحة والسعادة.

وفي عودته كانت تطارده القطط والأطفال، وتسير خلفه، وتتعقبه حتى المنزل. وكان الصياد يمازح الأطفال من أجل إسعادهم وتسليتهم، ويجعلهم يستغرقون في الضحك.

وعندما يصل إلى المنزل، يلقي نفسه بسرعة على الكرسي، ومن أجل إزالة تعب وجهد اليوم كان ينام نومًا عميقًا،

ويحدث شخيرًا. وكانت القطط تَرْتمي على صدره، وتنكمش على رائحة السمك التي تكمن في ملابسه وتنام. وكان الذُّباب أيضًا يطن ويطنطن فوق شعره المليء بالدهون، أما طيور الحسون فكانت تُغرد فوق أكتافه. وحتى الأطفال كانوا لا يبعدون عن الصياد حتى يَحكي لهم حكاية. وكان الصياد يحكي الحكاية، وأثناء حديثه ينام. كان يحكي حكايته بعين مَفْتوحة وعينه الأخرى مُغْلَقة. وكان الأطفال يحبون "حكاية السحلية" جدًا.

وإذا أراد الصياد أن يتخلص من الأطفال ويبعدهم عنه، وينام براحة واطمئنان كان يقول لهم: سوف أحكي لكم حكاية السِّحْلية، فاتركوني وحدي. وبمجرد أن يسمع الأطفال كلمة السِّحْلية، كانوا يصيحون ويبعدون عن الصياد، وبعد ذلك يأخذ كل واحد منهم مكانه من أجل سماع الحكاية.

وإذا ذهب الأطفال، كان الذباب والطيور والقطط لا يبعدون عن جانبه قط. وكان الذباب يستمر في الطنين، والطيور تستمر في التغريد. وكانت القطط التي تأكل وتشبع من السمك تنام بارتياح على عنق الصياد وعلى رأسه وعلى بطنه وأيضًا على ركبتيه. وقت حلول المساء، وقرب غروب الشمس، وبعد أن يتناول الصياد أول جَرْعة من الشراب

ومشروبه المفضل، كان يرفع كأسه الذي يَشْرب فيها إلى محبُوبَتِه التي يظن ويتخيل أنها تعيش في الساحل المواجه له. وكان كل مساء يَكْتُب خطابًا ويضعه في الزجاجة التي يشرب فيها الشراب كل مساء ويغلقها ويلقيها في البحر. وكان الصياد يرسل خطاباته إلى محبوبته التي توجد في الساحل المقابل، والتي لَمْ تكن موجودة في الأصل. وكان يحكي في خطاباته عما يفعله، وعن حكاياته وأحْلامه، وكان يرتب وينظم خطاباته بأجمل كلام الحب والعشق. ولما كانت الخطابات لا تَصل إلى أي أحد قط كان لا يأتي ردٌّ عليها. وأساسًا كان الصياد لا ينتظر ردًّا ولا غيره.

كان يقول: إن بقاء الخطابات بدون جواب شيء جَيِّد، لأنك أمعنت النظر. . فلو جاء الرد يفقد الخطاب رونقه ويضيع الخيال.

وكان الصياد عادةً يستيقظ مبكرًا، وذات يوم استيقظ متأخرًا، وكان يفتح عينيه بصعوبة فى هذا اليوم من شدة لمعان الشمس، وقال الصياد: تأخرت، السمك لا يكون في البحر في هذا الوقت. فخلع قميصه وسرواله وتمدد على الكرسي. وقال: هذا اليوم هو يوم إجازَتي. لا أصطاد سمكًا، ولا أنزل

إلى المدينة، ولا أحكي لأحد، ولا أكتب خطابًا، والآن سوف أنام.

وقُرب الظهر اقترب مركب صيد مهلهل إلى مرفأ الصياد، ومن الواضح أن هذا المركب كان ضخمًا وكبيرًا، وكان بداخله خمسة أشخاص: ثلاث سيدات ورجلان، ولوحت إحدى السيدات بيدها إلى الصياد. وفي البداية تحيَّر الصياد، ماذا يفعل؟ وبعد ذلك رفع هو أيضًا يده ببطء، ولوَّح يمينًا ويسارًا.

وسألت نفس السيدة قائلة: هل يُوجد لديك سمك أيها الصياد؟ فلم يجد الصياد ما يقوله للسيدة الجميلة، ورأى أن الأفْضَل أن يرد عليها فقال: كل يوم يكون عندي سمك طازج، ولكن لم أخرج إلى الصيد هذا اليوم، إذا كان هناك نصيب فيكون غدًا إن شاء الله. ولم يذهب من أمام خيال الصياد فى ذلك اليوم وتلك الليلة جمال تلك السيدة عندما كان يتحدث معها.

وقام مبكرًا في الصباح، واصطاد السمك، وملأ وعاءه إلى سبلته (أي إلى آخره بالسمك). وكان معتادًا على النزول كل صباح إلى المدينة، ولكن في ذلك الصباح لم ينزل. ولم يرتدِ ملابسه التي لم يلبسها منذ عدة أعوام، وكان محتفظًا

بها في صندوقه، والتي اشتراها من أجل فرح أحد أصدقائه. وجلس على كرسيه، وانتظر مجيء المركب، وأتى المركب قرب الظهر. وكانت السيدة تجلس فى المركب مع رجل ذى شعر أحمر مُجَعَّد، وصاح قائلاً: أيها الصياد، هل الأسماك جاهزة؟ وكانت السيدة تنظر إلى الصياد وتضحك، وبسبب أن ملابس الصياد الموجودة عليه كانت غير مكوية، كان يخجل من ذلك، وطأطأ رأسه. وأعطى وعاء السمك إلى السيدة، وليس إلى الرجل، وقال لها بصوت منخفض ومرتعش: "هذا من أجلك"، وابتعد عن المركب، ولوَّحت السيدة بيديها للصياد. فَنَفخ الصياد القُبْلَة التي خبأها بين يديه، وأرسلها خلفها. وفي تلك الأيام كان يَحْدث شَيء لم نكن نتوقعه ولا ننتظره قط في الساحل المقابل.

كانت الزجاجات التي يُرسلها الصياد كل يوم، قد تجمعت في خَلِيج صَغير خلف جزيرة مجاورة، وبينما كانت رينا روهى بنت من بنات الجزيرة الجَمِيلة- تَجْمع نبات الزعتر، ودون أن تدرك ومن غير قصد، وصلت إلى هذا المكان المَهْجور الذي لم يتردد عليه أحد. وكانت الفتاة في مَكان مُرْتفع، وجذب انتباهها الضوء الذي انْعكس من الزُّجاجات التي اصطدمت

بالساحل. فأسرعت، ونزلت إلى الساحل، ونظرت بِحَيْرة ودهشة إلى مجموعة الزجاجات الموجودة. وقامت بفتح الزجاجات واحدة تلو الأخرى، وقرأت الرسائل الموجودة بداخلها. كانت كلما تقرأ تحس بأنها تعشق الرجل الرقيق، وذا الحس المرهف الذي كتب هذه الرسائل. وقالت: "إذا كان يوجد في الدنيا رجل مثل هذا سأذهب وأجده، وأعيش بجواره ولا أبعد عنه أبدًا حتى الموت".

منذ أن قرأت «رينا» الخطابات لم يَغْمض لها جَفْنَ طوال الليالي. وقرأت الخطابات مرات عديدة. وكانت كل يوم تنزل إلى الخليج الموجود خلف الجزيرة، وتنظر هل يأتي خطاب جديد أم لا. ومنذ أن بدأ الصياد يفكر في الفتاة التي تأتي وتشتري منه السَّمك، وبدأ يشم نسيم هبوب رياح الحُور عليه، تَرك كِتابة خطابات إلى حَبِيبَته الخيالية، وطار بخياله إلى السيدة ذات الشعر المتموج.

وبعد أن مر المركبُ على الصياد للمرة الثالثة، وأخذ منه السمك، لم يظهر في البحر مرة أخرى. وكان الصَّياد لا يحمل السمك الذي يصطاده في الصباح إلى ساحة المدينة ولا يَبِيعه، وكان يحفظه بجانبه ويقول: ربما يأتي المركب، وإذا لم

يأت أحد، كان يُهْدِي السمك ويُعْطِيه للقطط، لدرجة أنه كان لا يذهب إلى المدينة من أجل التسوق والشراء والبيع. وكان الصياد لا يخرج من بيته أبدًا حتى ولو لدقيقة، لأنه كان يفكر ويقول: «إذا كنتُ في السوق لأتسوق، وأتت السيدة ذات الشعر المتموج، وكانت تُريد سمكًا، ماذا أفعل؟».

كل يوم بعد أن يعود من الصَّيْد، كان يَحْلق ذقنه، ويلبس طقم الملابس الذي يَكْويه، ويضعه تحت سَريرِه. وكان يتعطر من العطر الذي أخرجه من الصندوق، ويسرح شعره، وينتظر فارسة أحلامه وأميرة قلبه، ولم تطق الطيور والذباب الذى تعود على شَعْر الصياد الذي يفوح بالدهون والعرق، لم تُطق رائحة العِطْر، وبعد ذلك لم تطف بجواره قطة. ابتعدت القطط عنه حتى لا تُلَوث ملابسه، وفقد الصياد فَرْحته وبَهْجَته القديمة، وعندما كان يأتي أهالي المَدينة ويَطْرقون بابه من أجل السؤال عن أحواله، كان يقابلهم بوجه عابس متكدر.

أما "رينا" عندما عرفت أن الخطابات قد انقطعت، ولم تأتِ، وانغمست في هُمومها العميقة، وذات يوم قررت فجأة الذهاب إلى البلدة المقابلة، وكانت تفكر قائلة: "الحياة عبارة عن سِلسِلة من المصادفات، وربما أعثر على الصياد الذي كتب الخطابات".

وعندما وصلت إلى المدينة، ظهر أمامها طفل يعمل فى صباغ أحذية، فسألته قائلة: أين الصيادون؟ فقال: في هذه المدينة تقريبًا كل شخص صياد، ولكن أشهر صياد يعيش في بيت صغير خارج المدينة.

فسألت قائلة: كيف حال هذا الصياد؟ وما طبيعته؟

قال: طيب جدًا، ولكن يمر بأزمة في هذه الأيام، ولا نعرف ما هي، وأعصابه مضطربة ومتوترة إلى حدٍّ ما.

فأحست الفتاة أن ذلك الصياد هو الشخص الذي تبحث عنه. وسارت بسعادة إلى خارج المدينة، وتوجهت حيث الاتجاه الذي يشير إليه الطفل. وعندما وصلت أمام المنزل، نظرت فرأت من بعيد رجلاً يرتدي بدلة. فسألت قائلة: "يوجد هنا صياد، أين يمكنني أن أجده؟ فقال الصياد: "لا يوجد في هذه الأماكن صياد غيري"، وعندئذٍ قالت الفتاة: "أنت الذي أبحث عنه". لقد قرأت خطاباتك التي أرسلتها في زجاجة، وأردت التعرف عليك، فقال الصياد: هكذا، هل أنتِ التي أخذت خطاباتي؟

فاسْتَحت الفتاة ونظرت إلى الصياد وقالت: أعرف أنك لم تكتب الخطابات لي، ولكن الخطابات التي كتبتها لم تصل إلى

الشخص الذي تريده، وكان والدي بحارًا قديمًا، وقال: "إذا وجدت خطابًا داخل زجاجة في البحر في أي يوم، فيكون هذا الخطاب لك ومن حقك".

فنظر الصياد إلى جسم الفتاة الضَّعيف والنَّحيف داخل ملابس واسعة وفضفاضة، وقال في نفسه: "لو لم أر الفتاة ذات الشعر المتموج، لكنت أنتِ التي أبحث عنها، ولكن وقعتُ في حبها، ومع الأسف فإن قلبي متعلق بهذه الفتاة ذات الشعر المُتَموج الأحْمر المُصَفَّف". فعرفت رينا من نظرات الصياد أنه لم يُعجب بها، وأحست أنه أحب الفتاة التي كتب من أجلها الخطابات بجنون.

وعادت الفتاة التي أحست أنها تعيسة وساذجة إلى قريتها الموجودة في الساحل المقابل بدون جدوى، وكانت كلما تقرأ رسائل الصياد في قريتها، يزداد حزنها وحسرتها على الصياد كل يوم أكثر. وذات يوم تغير حالها رأسًا على عقب، وأرادت الذهاب إلى الصياد. وفعلت مثلما قال، جعلت شعرها يتموج، وارتدت لباسًا حريريًا، وركبت قاربًا موتوريًا، وقامت بجَوْلة ذهابًا وإيابًا أمام مَنْزل الصياد. وبينما كان الصياد ينتظر المركب الذي سيأتي من البحر بنظرات بائسة حزينة، وهو يرتدي بدلة

تلطخت بالغبار، رأى الفتاة، فذُهل، وقال: "أتت"، أخيرًا عادت.

ولوَّح بيده وهو مليء بالسعادة والبَهْجة إلى الفتاة، وقالت الفتاة في نفسها: لقد خدعته، وخَالت عليه الحيلة، وتَقْصد على ما يبدو أنها بالشعر المتموج والملابس المصطنعة قامت بمعجزة فلم يعرفها. واقتربت بقاربها إلى رَصِيف الصياد، وقالت: هل يُوجد سمك أيها الصياد؟ وغيرت نبرة صوتها.

فقدَّم الصياد إليها الأسماك الطازجة التي اصطادها ذلك اليوم. وبعد ذلك دعاها إلى مَظَلة موجودة أمام كوخه لكي يَشْربا شايًا. فنزلت «رينا» بفرح وبَهْجة من القارب. وفي ذلك اليوم شاهدا البحر وتحدثا حتى أظلم الجو وحل المساء، وعندما ظهر القمر أرادت الفتاة أن تعود، وبينما كانت ذاهبة، أحس الصياد بإثارة ونشوة لذيذة ولطيفة في قلبه، وقال لها: تعالي مرة ثانية في الصباح، سأنتظرك.

وأدركت الفتاة أن الصياد قد أُعْجب بها، ووقع في هواها من أجل أنها كانت تُشبه السيدة التي أحبها.

كانت الفتاة تفكر قائلة: «لو كنت ذهبت إليه على أني «رينا» البنت القروية، كان لا يهتم بي، ولا يلتفت إليَّ قط،

وأستطيع أن أواصل هذه اللعبة، وأقضي أيامًا سعيدةً لمدة قصيرة، ولكن الأشياء التي تُبْنَى على الغش والخداع تكون عاقبتها مُؤلمة وقاسية».

ولم تذهب الفتاة إلى ميعاد الغد؛ لأنه كان مُجرد ميعاد فَقَط، ولأنها شعرت أنها تخدعه، وعندئذٍ فهم الصياد وأدرك من أول وهلة أن البنت لم تكن هي السَّيدة التي ينتظرها. والضوء الذي انعكس على عينيه من تموج شعرها كان يحثه على الارتباط بهذه الفتاة، لكن كلما كانا يتحادثان كان يزداد حُبُّه لقلب الفتاة وأحْلامها ورؤاها وتحركاتها وتصرفاتها المليئة بالحب. وانتظرها لعدة أيام، وعندما أدرك أن الفتاة لم تأتِ عَبَر بمركبه إلى الساحل المقابل، وسار الصياد طوال اليوم في القرية وتجول، يسأل حتى وجد الفتاة. وبعد ذلك اليوم لم يبعد الصياد عن رينا قط، فقد تزوجها وعاشا حياةً سعيدةً سويًّا.

* * *

«أنتم سعداء الحظ ومحظوظون، وحكايتكم أيضًا جميلة جدًّا كحكاية جدتي الجميلة أيضًا».

يا إلهي إن الحكاية تنقلنا إلى عالم آخر و نحن أيضًا لم نكن غرباء في هذه الدنيا، لنكتفِ بهذا القدر بالنسبة إلى هذا اليوم

يا صديقي الصغير. لا يحكى شيء آخر على هذه الحكاية، أليس كذلك؟ ما أجملها! وكأنها نُظِّمت وكُتِبَت من أجلي. ليتنى أبقى وحيدًا قليلاً لأفكر، وكان «قيمق»أيضًا يريد التفكير.

هيييه.. لو أرسلتُ خطابًا فى زجاجة إلى بالدوداق.. فكيف ستكون؟ هل ستجن أم أنها ستستغرق في الضحك؟ أم لو أخذت الزجاجة فتاة ذات شعر أجعد بدلاً من الفتاة «بالدوداق»، فماذا يكون الأمر..؟

كانت هناك السيدة «كَوربه كَول» ترتدي ملابس مزينة بالورود وبأزهار العلب الزرقاء والصفراء، وكانت تنتظر «قيمق»أمام النافذة وقالت:

الآن أنتظر حَفِيدي بسعادة وشوق كما كنت أنتظر زوجى البحار، أشعر به، مثلما كنت أشعر بزوجى، وعندما رأت من بعيد طرف حقيبة قيمق نزلت إلى أسفل، وفتحت الباب: "مرحبًا بك يا طائري الصغير"، "يا حفيدي". وكان صوتها يجلجل مثل صوت خَرِير النهر، فعانق «قيمق»جدته وقبَّل وَجْنَتَيْها.

وكان يوجد على المائدة دجاجة محمرة مثل الرمان، وتزينت

أيضًا بالجزر والطماطم، والفلفل والفاصوليا. وبينما كان «قيمق» يَجْلس على المائدة، صاحت جدته بسعادة وقالت: "ما هو التغيير هنا..؟" كيف لا يكون هناك تغيير كل شيء مختَلف؛ زي الجدة، والأكلات، وتنظيم المائدة، والقبقاب، ولكن في هذه اللحظة اختار «قيمق»بروحه المرحة والجذابة. وقال: "الفرخة المحمرة، قالت الجدة: لم تستطع أن تعرف.. انظر إلى مفرش المائدة...

منذ أول وهلة اصطدمت عينه بالمفرش المثير على المائدة، كان المفرش أصفر، وطُرِّز فوقه هيكل ديك باللون الأزرق الغامق.

وكان اللون الرمادي يُعَتِّم المائدة، كان المفرش الرمادي ذا لون تُرابي عميق لكن هذا الفراش المبهر فُرِش بدلاً منه، وسأل «قيمق»قائلاً: هل اشتريته مجددًا؟ قالت هل اشتريته؟ أنا الذي صَنَعْته، بل حقًّا أنا الذي صبغته. كان لونه يميل إلى الرمادي، وقَديم، كان مفرشًا أبيض في البداية، ثم صبغته باللون الأصفر، وبعد ذلك طليته بطباعة بالصبغة الزرقاء، كيف هو؟ هل أصبح جميلاً؟ أصبح رائعًا يا جدتي، أنت بارعة وموهوبة جدًا.

وقبَّل «قيمق» وجنة جدته قبلة حارة.

ولم تكن جدته تستقر فى مكانها، أحضرت ثوب قماش من الداخل، وقالت له: انظر، اخترت هذا الثوب هذا الصباح، أنا أيضًا خرجت من بعدك، واشتريت هذا الثوب من محل قماش به بضاعة حديثة. وسأخرزه بالأشغال اليدوية وسأبيعة في السوق التجاري للعمال اليدوية . . ما رأيك فى هذا الفكر؟.

رائع يا جدتي، خارق للعادة! لقد تحملت بمفردك، وحملت ثوبًا كبيرًا. فمالت جدته إلى أذنه، وقالت: «اسكت، سَوف نَذْهب إلى السينما نهاية الأسبوع بالنقود التي حصلت عليها من السوق».

«هل تقصدين إلى السينما؟».

أطارت كلمة سينما فرحة قيمق وبهجته . . كان يريد الذهاب مع الفتاة مَعْسولة الشفتين إلى السينما . وتدبر أمره بسرعة ، ولكن : هل هذا صعب؟ فلكل مشكلة حل ، وكان يفكر على هذا النحو ؛ سوف أذهب أيام السبت مع «بالدوداق» معسولة الشفتين إلى السينما ، ويوم الأحد أذهب مع جدتي ، هذا شيء حسن . انتهى الأمر .

* * *

وبعد ذلك اليوم استمرت الجدة في إدهاش «قيمق» وإسعاده ، ذات يوم حاكت طاقية بالإبرة إلى «قيمق» ، وفي يوم آخر صنعت له قميصًا من الأقمشة التي طبعتها .

وبعد ذلك كانت تذهب كل يوم إلى الشارع ، وتسير مشيًا على الأقدام حوالي ساعة على الأقل ، وتشترى من محلات الأقمشة أقمشة نافعة ومُفيدة ، وكانت تقول له : المشي يُفيد ساقى ، وكلما أمشي تقل أوجاعى وآلامى" .

وأصبح «قيمق» يعود إلى المنزل ليس مثلما كان فى الماضى كارهًا ، وغَير راغب فيه ، بل كان يأتي مهرولاً إلى المنزل ، وكان يَسْعد بشدة إلى كل مفاجأة تعدها له جدته .

"الحكاية لا تَزول ولا تنتهي" الحكاية أيضًا تُغَيِّر الإنسان .

وكان «قيمق» يريد تقديم الشكر إلى "الملك" بسبب التَغَيُّرات التي حدثت لجدته، ولكن منذ ذلك اليوم لم ير "الملك" قط. وكان كل يوم قبل أن ينام، ينظر إلى الناحية التي ابتعد عنها الملك. وكان يَهْمس قائلاً: «الملك! الملك!». ولكن لا صَوْت ولا نَفَس من الملك، ربما الملك غضبان منه.. وأنه لن يعود مرة أخرى.

* * *

ذات يوم وَجد «قيمق» جدته جالسة أمام منضدة البيع التى أقامتها بجوار الباب. تبيع مختلف المشغولات التى تقوم بها، مثل المفارش.. لم يكن ينتظر كل هذا من جدته.. إنها تمامًا مثل «دون كوشوت» وكان «قيمق» كثيرًا ما يتمنى أن يكون «دون كوشوت» واحدًا من أقاربه.. وهاهى جدته أصبحت هكذا.. وقرر أن يكون بجوارها دائمًا..

وقال: إني سأكون بجوار جدتي، وقام وعانقها بكل حب واحترام. وقال: «إنها فكرة رائعة»، أريد أن تكون هذه المنضدة لي لكي أبيع عليها، وقال: يا جدتي ابقي أنت في المنزل، وأنا أذهب وأبيع.

قالت: مستحيل يا صغيري، أنا أعرف كيف أتعامل مع

الزبائن أكثر منك، لا تقلق عليَّ، أنا عزمي شديد.

لا تقلقى علىَّ.. إن لى فكين قويين.. يا إلهي، هل تشعرين بالبرد يا جدتي العزيزة؟ الملابس عليك خفيفة. اذهبي إلى المنزل، هيَّا! لو بردت سَوف تَمْرضِين، وماذا سنفعل؟ أنا سأبيع المفروشات.

وكانت الجدة لا تريد الذهاب إلى الداخل، وقالت: يجب أن تذهب أنت إلى الداخل، وكل وأحضر الأكل، وكان «قيمق»يخاف من أن تبرد جدته وتمرض، فدخل المنزل، وأحضر بالطو مصنوعًا من فرو الجمل من على الشماعة...، ووضعه على أكتاف جدته..

وبعد ذلك دخل المطبخ فأكل بسرعة، ثم عاد، وكتب عريضة على بقايا الأقمشة وأجزاء الأوراق، وفي النهاية وجد مكانًا يوضع فيه السلسلة التي ربطها مع بعضها البعض، إلا أنه بعد ذلك صرف النظر عن محاولاته مع الترزى الموجود على سطح السماء...

قال: من أجمل الأشياء التي أحبها كثيرًا هي زخرفة منضدة البيع، ولف السلسلة الطويلة على هيئة صُفوف طَويلة حول أطراف المنضدة. وأدخل فيها الألاعيب مثل الفيل والخنزير

والقطة والعربة اللوري . ومن الخلف كان ينظر إلى منضدة البيع وهو بعيد عنها فى الخلف بخمس خطوات . . وقال لجدته : إن منضدتك هي أعظم منضدة في الحى ، وكانت المنضدة تَجْذب انتباه المارة ، وحتى لو لم يشتروا فكانوا ينظرون إلى الأنواع المختلفة من البضاعة ، ويسألون عن سعرها .

وكان يأتي بعض الناس لكي يتسامروا مع السيدة "كَوربه كَول" فقط . وكانت المرأة الجميلة عندما لا تبيع بضاعة قط في خلال الساعات الأولى ، كانت تخفض الأسعار إلى النصف ، وكانت تعمل تخفيضًا أكبر للزبون الذي تعتقد أنه سيشتري بسرعة ويشتري كمية كبيرة مثل السيدة فيردوندو . وكانت أيضًا توضح للزبائن بشكل جميل كيفية إنتاج وتطبيع القماش الذي يشتريه الزبائن بطريقة طبع القماش الجيد أصول بوليفيا ، وبعد أن تبيع أول بيعة تنشط التجارة والشراء بسرعة .

وكانت كل واحدة من السيدات تمسك المفرش من طرفه ، وتسأل عن سعره .

وفي ذلك اليوم وقبل غروب الشمس بقيت على المنضدة قطعة مفرش واحدة فقط ، وكانت السيدة "كَوربه كَول" سعيدة جدًا ، وقالت : سوف أشتري غدًابهذه النقود لوازم ومواد خام

جديدة، وأصنع مفروشات جديدة.

وفي ذلك اليوم كان «قيمق» يفكر في اختراع آلة ميكانيكية من أجل جدته، بحيث عندما تضغط على الزر تخرج الماكينة القماش باللون والنوع الذي تريده.

* * *

الرسالة التي أتت إلى السيد «ترتر» غَيَّرت لون حياته، وأضافت له شكلاً آخر، وعرف سبب عدم وجود أشعار عن طريق حكاية الصياد بالشكل الذي يريده. والحكاية التي تأتي مع الخطاب تظهر لي العيب الموجود في حياتي، لا يوجد عشق في حياتي. وبدون العشق ليس ممكنًا كتابة أشعار العشق.

وبالرغم من معرفة السيد «ترتر» بهذه الحقيقة، إلا أنه في الأيام الأخيرة، لم يكن سعيدًا أبدًا؛ لدرجة أنه كان يُرى بائسًا ومكتئبًا لمدة طويلة. ولا يسمع ما يقرؤه «قيمق». ويطلب إعادته من البداية وقراءته من جديد، وظن «قيمق» أنه اشتد مرضه بسبب حزنه وألمه، وكان يُريد مساعدة السيد «ترتر»، ولكنه لم يفعل لأنه لم يعرف كيف يفعل ذلك.

وذات يوم عندما قال: قل ما قلته مرة ثانية من البداية، وضع الكتاب على المنضدة، وسأل قائلاً: ألن تحدثني، لماذا أنت متضايق؟

فتحير السيد «ترتر» ونظر إلى «قيمق»، وكانت نظراته وكأنها تقول: هلا تَفْهَمَنى.. وقال منفعلاً:، «آه، ألم في رأسي بسبب ابني». وبعد أن فكر قليلاً قال تشاجر مع صاحب العمل، وخرج من العمل، وفصل، ومر وقت طويل وهو

يبحث عن عمل جديد. أكثر من مرة! آه لو قرر أنه يعمل أي عمل قبل أن أُغمض عينى، لم أر أنه سيعمل أكثر من ثلاثة إلى خمسة أشهر في مكان واحد، ويقول: هذا العمل ليس مناسبًا لي، ويرحل عنه.

لقد أصبح في سن الأربعين، وحتى ذلك الوقت لم يجد عملاً يفضله.

وأخذ «قيمق» رأسه بين يديه الاثنتين، وفكر قائلاً: «هذا كل ما بوسعي، ما بيدي حيلة».

وفي الأيام الأخيرة للسيد «ترتر» ومثلما كان يعمل دائمًا، قال: "حسنًا، يكفي هذا اليوم، يمكنك أن تذهب". تأفف "قيمق"، وقال: "أوف، لم أعد أستمتع بقراءة الكتاب إلى السيد «ترتر» كالسابق، وجذب الباب. وبينما كان يذهب، قال فى نفسه: لو تحدث معجزة.. لو فجأة انسكبت بالونات، وأضواء ملونة، ونجوم من السماء، واغتسلنا جميعًا بالأضواء الزرقاء والخضراء والحمراء، لو نرقص بجنون، ويعانق بعضنا بعضًا، ونقول: نحن سعداء..!!

* * *

في نهاية الأسبوع ذهب «قيمق» مع الفتاة "بالدوداق" إلى

السينما، وجعلت الفتاة الجميلة «قيمق» ينتظر أمام السينما نصف ساعة كاملة. وكان «قيمق» يرتدى بنطلونه الجينز وقميصه الذي أخرجهما من غسالة جدته حديثًا. وكانت كلما تهب الرياح تنتشر رائحة الورد من ملابسه، وخفق قلب «قيمق»، وقال: آه، لو أتت الفتاة الجميلة دون أن تنقل الرياح رائحتي الجميلة، ما الفائدة؟ وأحضر معه كتابًا في دولة خوارق أليس، لكى يتحدث مع الفتاة الجميلة عن الكتاب قبل بداية الفيلم.

في النهاية كانت الفتاة قد حضرت قبيل أن يَدق الجرس، كان يُوجد تحت مقعدها لفافة مكسرات ضخمة للغاية. وبمجرد أن بدأ الفيلم فتحت اللفافة، ونسيت حتى أن تهدي إلى "قيمق"، وأكلت من بداية الفيلم إلى نهايته لبًا وفستقًا بقشره وخَرَّوبًا. وشربت أثناء الفيلم كثيرًا من عصير الفاكهة والمعلبات. وكأنها أتت إلى السينما من أجل الأكل والشرب

أكثر من مشاهدتها الفيلم. واشمأز «قيمق» من رَائحة قرن الماعز (الخروب)، وبسبب أن «قيمق» طوال الفيلم كان يُفكر في رَائحة قرن الماعز، التي تأكله الفتاة الجميلة، وحتى التي توجد بقاياه على شفتيها، ومن أجل ذلك لم ينتبه جيدًا إلى الفيلم، ولم يستمتع بجلوس الفتاة الجميلة بجواره، وكان يريد التحدث عن «أليس» وبسبب ذلك كان يبذل قصارى جهده طوال الأسبوع من أجل إنهاء الكتاب.

وعندما خرج من السينما، وأثناء سيره إلى المنزل لم يتحدث مع الفتاة، «بالدوداق»، وطوال الطريق كان يفكر في أن جميع البنات الأخريات الموجودات فى الفصل، وحتى الفتاة ذات الشعر المجعد، أجمل وألطف من الفتاة مَعْسولة الشفتين "بالدوداق". وقال: الآن يجب أن نُعطي الصياد حقه، ونَتَذَكَّره عندما قال: عندما يأتي الرد فيفتقد سحره".

وفي الحقيقة أجاب بالموافقة على اقتراح الفتاة في الذهاب إلى السينما، وكان أيضًا قد فَقَد سحره.

ومع مرور الأيام لم تُبقِ تذاكر السينما وعصائر الفواكه نقودًا في جيبه قط. مع أنه كان يريد أن يحضر لجدته باقة ورد بالنقود التي أخذها من عمله. وكان يوجد شيء آخر يريده وهو: كان يريد أن يتخلص من الفتاة "بالدوداق" إلى أصغر نجم في السماء عن طريق كرسي الفضاء المخترع حديثًا.

وتمر الأيام بسرعة، والهواء بارد، والسماء تمطر باستمرار، ولم تشرق الشمس، والدروس كثرت في المدارس، وكانت طريقة جدته في معاملته بلطف وحنان تعجبه كثيرًا. وكان يأتي إلى المنزل مهرولاً وليس مثل زمان. وكثرت البضاعة على مائدة الجدة. وبخلاف المفارش كانت تضع شنطة قماش

وأكياس طعام، ومريلة مطبخ وعباءات واسعة، وتطلى زخارف زهور على أكياس الشوربة، وعلى كراسي البانيو.

وبدأت ترسل إلى جميع المنازل باستمرار منتجات «كَوربه كَول»، وتعجب «قيمق» من قوة جدته، ومدى تحملها.

وكانت جدته تقول: "الحدُّوتة هي طاقة وقُدْرَة، وقدرة الحدوتة هي طاقة العالم التي لا تنتهي ولا تنفد". ولم ينسَ «قيمق»تسجيل هذه الجملة في كراسته التي يكتب فيها المخترعات، فأخرج الكراسة، وسجل ما أراد وقال فى نفسه: لو أن أحدًا استولى على هذا الدفتر بعد أن أصبح مشهورًا لعلم أن «قيمق» قد أذاب عصارة مخه فى هذه الأشياء، وهو فى عمر الحادية عشرة أليس كذلك؟ لكن ليبقَ هذا سرًا بيننا فقط.

وفي اليوم الذي شاهد فيه «قيمق» الفيلم مع الفتاة «بالدوداق» جنبًا إلى جنب، كتب هذه الجملة على نفس الكراسة «الفتيات الجميلة تصبح في أماكن بعيدة جدًا».

وقامت الجدة مبكرًا، وكانت تعمل بدون انقطاع حتى الظهر، وبعد الظهر إذا لم يكن الجو ممطرًا، تقوم بفتح منضدة البيع أمام الباب، وذات يوم عندما عاد «قيمق» إلى المنزل، لم

يرَ منضدة جدته، فانتابه القلق، على جدته، وكان أهم شيء أن جدته لن تكون مريضة.

فترك حقيبته على الأرض، وطار إلى المنزل مثل المجنون، ضغط على الزر بأصبعه، ودق الجرس، ودق لفترة طويلة دون أن يفتح أحد، ولكن فتحت جدته الصحيحة والسليمة الباب، وقالت: "لقد قلقت علي، أليس كذلك؟! لا يوجد شيء مهم، فقد جاء موظفو البلدية، كنت لا أستطيع أن أفتح المنضدة أمام منزلي، وأنا استأجرت مكانًا من سوق الأعمال اليدوية الذي يُقام يوم الأحد، خلال أسبوع سوف أعمل، وأنتج بضاعة، وأبيعها في الأسواق، وهكذا سيكون أفضل بكثير.

فوضع «قيمق»يده على قلبه، وقال: "يا إلهي لقد أوشك قلبى على التوقف".

وكانت حالة السيد "ترتر" النفسية سيئة باستمرار، ولم تَعُدِ مناقشاته مع "قيمق" تشرح صدره مرة ثانية، وكان دائمًا إما عبوسًا أو متأففًا، أو لا يستمع إلى الذين يقرءون، أو ينام نومًا خفيفًا.

وكان رأس «قيمق»منذ عدة أيام مشغولاً بنفس السؤال:

"ماذا علىَّ أن أفعل . . ؟ وكان يريد أن يتحدث مع ابن «ترتر» ، لدرجة أنه يريد أن يحاسب ابنه ويأخذ بتلابيبه .

تخيَّل كثيرًا أن يقول : إذا كنت ستجد عملاً مناسبًا . . أوجد ، وإذا لم تجد سوف تفقد والدك ، ولكن من يسمعه !" .

ومن ناحية أخرى كان يستشيط غضبًا ، ويقول : "أحصل على نقود دون أن أعمل ، تعطيني نقودًا بلا جدوى" .

لم يأذن بقراءة كتاب كامل ، ولا سمع ما أَقْرَؤه .

وقرر «قيمق» ترك العمل ، ولنرَ ماذا سيقول؟

وبمجرد أن دخل «قيمق» الحديقة آخر يوم ، أدرك أن «ترتر» في حالة سعيدة ، كانت كلمات الشقراء ولحن أغنية "أيتها الفتاة الشقراء زرقاء العين أقبلى لكى نذهب نحن إلى الجزيرة" تتردد وتسمع حتى فى الخارج . وكان صوته ليس سيئًا ، معنى هذا أن مزاجه على ما يرام ، وعندما رأى «ترتر» «قيمق» أطلق صفيرًا طويلاً وقال : «أووووه ، مرحبًا بك أيها السيد الصغير ، هل أنت جوعان؟ ، لقد أعددت لك ساندوتش زيتون مهروس» .

وهل يُسأل «قيمق» هل أنت جوعان؟ كان «قيمق» جَوْعان دائمًا ، وأعجب الساندوتش «قيمق» جدًا ، وأكله في نفس

واحد، وأنزله إلى معدته بسرعة.

"رائع! فكرة جيدة جدًا وَضْع الزيتون المَهْروس داخل السندوتش"، لم أنسَ هذا الطعم أبدًا.

كان السيد "ترتر" مازحًا ومرحًا كالطفل فى هذا اليوم، وكان يضحك بجنون مثلما كان يضحك ويُمازح فى كل لحظة، وأعطى كتابًا يسمى "حكايات البحار" إلى «قيمق» من أجل قراءته. وسمع في الحكاية الأولى البحار يُغني من داخل الصفحة التي قاربت الثلاثين. ينبغي ألا نترك ذلك ولا نتأفف. فإن الحكاية أعجبت «قيمق» كثيرًا. وكان يحب حكايات العشق كثيرًا. وكانت هي حكاية "الميچو" الذي يعمل على سفينة الشحن عن الحب الذي يعانيه. وترك "الميچو" العمل في السفينة التي يعمل فيها منذ عشرين عامًا بسبب الحب، ولكن في النهاية عاد إلى السفينة مرة أخرى، وأحب «قيمق» لأول مرة قراءة الكتاب للسيد "ترتر" منذ عدة أيام.

في الغالب وجد ابنه عملاً ، ولكن لم يهدأ باله ، ولم تستقر حالته النفسية ، وإذا استقر هكذا ، أنا أيضًا لن أترك العمل .

وفي تلك الأثناء ، أزال السيد "ترتر" قلق «قيمق» ، ووضح قائلاً : «أتى أمس خطاب إلى ابني» .

كان يوجد به حكاية مثل حكايتي ، ومثل حكاية جدتي ، وظهر ملك أيضًا من حكاية جدتي ، ولكن لم يصبح هكذا بعد ، "والتقت بالملكة وقطط الشارع ، وأصدقائه من مجموعة الموسيقيين" .

والحكاية هنا ، هل تُريد قراءتها؟ لا يتحدث ابني كثيرًا ، وقال : «وأظهر هذا الخطاب لي أين خطئي ، وأحببت ذلك كثيرًا ، لنقرأ ولنستمع» .

وقلب «قيمق» الخطاب بين يَديه ، وحمله إلى أنفه ، وفاحت منه رائحة الكعك ، المعبق وكان طابعه قديمًا جدًّا ، مثل الموجود عند جدتي . ربما أنه من الخطابات المَنْسِيَّة والمفقودة في ركن على الساحل ، يبدو أن المكاتبة والمراسلة بالحكاية والحواديت كان شائعًا منذ القدم . "هيا اترك الشم ، واقرأه بعد!" .

وقرأ «قيمق» الحِكَاية التي تُسمى "موظف الأمانات «صاوا»" .

المؤتمن صاوا

كان رجل في إحدى الدول يسمى «صاوا»، وكان يعمل أمينًا في شارع المسرح في المدينة التي يعيش فيها. وفي الغالب كانت زبائنه من الممثلين والموسيقيين. وكان هؤلاء الناس يتركون بدلهم وآلاتهم الموسيقية وحقيبة المستندات والأشياء القيمة التي لا يستخدمونها إلى "صاوا"، الذي يثقون فيه. وفقد «صاوا» عينه في لعبة الحرب التي لعبها عندما كان طفلاً. وحتى لعبة الحروب كانت غير نافعة وغير مفيدة أبدًا. وكان يَرْفع أحجار الأضرحة، وكان صدره مليئًا بالميداليات، ولكن "أحيانًا ينشأ الناس وليس لديهم ذراع أو ساق أو عين أو أذن".

وكان والد «صاوا» مطربًا وموسيقارًا قديمًا، وكان يتمنى

أن يصبح أحد أبنائه موسيقارًا، ولكن باستثناء "صاوا" فإنهم كانوا لا يهتمون بالموسيقى قط. ومهما كان فإن "صاوا" كان يحب آلات الموسيقى كثيرًا، وكان يفضل ملامسة أصابعه على الأوتار ولمس المفاتيح بنعومة على اللعب مع الأطفال. وعندما كان في عمر السابعة، علَّمه والده العزف على الكمنجة، ولكن بقدر ما كان "صاوا" يريد أن يصبح موسيقارًا جيدًا، إلا أنه لم يكن في درجة أبيه. ولم يستطع أن يفك مجموعة من رموز هذه الحرفة وهذا الفن. ولهذا السبب قام بفتح دكان الأمانات في شارع المسرحيات. وكانت لديه خبرة بقدر المستطاع بالآلات الموسيقية المتنوعة. ؛ ولذلك فقد قام بفتح محل أيضًا يبيع فيه آلات الموسيقى بدلاً من الأمانات، ولكن كان كلما يستخدم آلات الموسيقى التي عند والده، كان يشعر في داخله بثراء روحي وفني لدرجة أنه الآن يعمل ويعيش كمودع إليه، وأيضًا واصل في استخدام آلات الموسيقى التي تترك عنده لفترة مؤقتة بالطريقة التي تعلمها من أبيه، وكان أيضًا يعدل الأوتار، وكان يلمعها ويطليها بالدهان من جديد، وكان يبذل قصارى جهده ليجعلها تخرج صوتًا جميلاً جدًا.

أما الذين يتركون آلاتهم في المحل فعندما يعرفون أنه قام بصيانتها والعناية بها، فإنهم يندهشون لذلك، وفهموا أن

"صاوا" لم يكن موظف أمانات عاديًا أو تافهًا، وكانوا يقيمون معه صداقات حميمة. ومنذ اليوم الأول الذي فتح فيه "صاوا" المحل، كان ينتابه شعور جميل ورائع. وذات يوم فتح الباب، ودخل زبون غير عادي، وتغيرت حياة «صاوا» تمامًا، وكان عندما يدق الجرس الموجود على الباب، يهتز «صاوا» بشدة ويضطرب. وكان يظن أن الزبون الخاص سوف يأتي في أحد الأيام ويدخل عليه. وكانت أيامه كلها تمر وتنقضي بسعادة، وكان يخرج في الصباح من منزله نظيفًا وأنيقًا جدًا. وكان يجعل بنطلونه وقميصه مكويين في كل وقت، وكان لا يريد أن يراه الزبون الخاص، مهملاً في ثيابه.

ومرت الأيام والشهور والسنون سريعًا بهذا الشوق والحنين. ولم يأتِ الزبون الذي كان ينتظره «صاوا». وفي صباح أغسطس الذي مر قلب «صاوا» الرقيق بوجع، قرر إغلاق المحل، وغير حياته، وترك انشغاله وتعلقه بالزبائن، وقرر تغيير حياته بنفسه. وترك كل شيء يتعلق بالماضي، وأغلق بابه وقام بتنظيم حفلة وداع في شارع المسرحيات. ودعا جميع أصدقائه الفنانين وزبائنه إلى الحفل. وقال «صاوا» بأسلوب راق للذين كانوا يتركون عنده أشياءهم أمانة أن يأخذوا أشياءهم. وكل شخص أخذ ما يتعلق به، وبقيت بعد ذلك كمنجة. وكانت هذه

الكمنجة ليست لأحد من الفنانين الموجودين في هذا الشارع. وتذكر «صاوا» أن هذه الكمنجة الثمينة قد تركها رجل ضَعِيف ذو شارب دقيق قبل عامين. وهذا الرجل منذ ذلك الوقت لم يأت إلى المحل مرة ثانية. وسعى "صاوا" بطرق عديدة لكي يُعْلِم ويُعَرِّف صاحب الكمنجة أنه أغلق المحل. وأعلن في المحلات عن ذلك، ونادى بالميكروفونات ومكبرات الصوت من أنحاء المدينة، وبسبب هذه الكمنجة الوحيدة، فقد فتح المحل لمدة أسبوع آخر، وبعد ذلك أغلقه.

وقال "صاوا" لمستأجر المحل الجديد: إذا أتى رجل يسأل عن كمنجته، أرسله لي. ومرت شهور بعد ذلك، ولم يظهر من يبحث أو يسأل عن الكمنجة. وفي تلك الأثناء، أتى أوركسترا ممثل لدولة أجنبية إلى المدينة. وكانت الفتاة رئيسة عازفي الكمنجة للأوركسترا، أثناء عملها بروفة أفلتت الكمنجة من يدها ووقعت، وانشق ظهر الكمنجة، وربما أصبحت الكمنجة آلة غريبة في يد الفتاة. وألصقت الشق وأصلحته، ولكن كانت الفتاة تحس بأنها لا تَميل إلى العزف على هذه الكمنجة. وقالت: "أنا لن أعزف بهذه الكمنجة، أحضروا لي كمنجة جيدة". وذهبوا إلى بائعي آلات الموسيقى الموجودين في المدينة، ولكن لم يجدوا مثل الكمنجة التي تريدها الفتاة.

واقترحت خادمة صالون الحفلة على الفتاة أن تَرى الكمنجة الموجودة عند «صاوا» عامل الأمانات. وفي البداية رفضت الفتاة بقنوط ويأس. وبعد ذلك فكرت قائلة: "ماذا أخسر لو أجبت"، وذهبت مع الخادمة إلى منزل «صاوا». وبمجرد أن رأت الفتاة الكمنجة فرحت كثيرًا. وقالت: "هذه كمنجة رائعة، وأغلى وأجمل من كمنجتي".

وعَزَفت على الكمنجة بكل فرح وسعادة مرة أو مرتين، وكانت كلما تعزف تخرج الكمنجة صوتًا جميلاً. فوقع «صاوا» في حيرة من الكمنجة والفتاة. وقالت الفتاة: «أريد أن تكون هذه الكمنجة ملكي، بعها لي، أبتاعها منك».

قال «صاوا»: لو كانت الكمنجة ملكي كنت أبيعها لك، ولا أجرح شعورك، ولكن مع الأسف هي ملك لزبون عندي، ولم يعد منذ ثلاث سنوات، ولو ظهر أو أتى في يوم ما، فماذا سأفعل؟

فقالت: "أنا سأعطيك كمنجتي، وهي أيضًا جميلة جدًّا، ولا يُلاحظ الشق أو الكسر الموجود فيها، فقد ألْصَقناه، وإن "صاوا" الذي اشتهر بأمانته، إذا أتى هذا الاقتراح من أي شخص هكذا كان لن يقبله، ولكن بسبب غير معلوم لم يقل

للفتاة ذات الصوت الرقيق وخفيفة الروح، لم يقل لها "لا".

وكان يفكر قائلاً: "لقد تَغَيَّرت، وستتغير حياتي هكذا، إذا ما أتى الآن الزبون، وأخذ كمنجة الفتاة، وأعطاها الكمنجة الأخرى. وقال: "ولكن بشرط واحد فقط، قولي لي أين يمكنني أن أجدك، إذا أتى صاحبها، يجب أن تُرسلي لي الكمنجة بسرعة".

فقبلت الفتاة الاقتراح بكل سعادة، فكتبت عنوان منزلها الموجود في المدينة في ورقة، وتركته على المنضدة.

وبعد ذلك اليوم، أصبحت الفتاة رئيسة عازفي الكمان، تَعيش حياتها بشكل طبيعي، وكانت كُلما تعزف على الكمنجة الجديدة، تزداد شهرتها في كل أنحاء العالم وتَنْتَشر، وأقاموا حفلات غنائية في معظم البلاد. وكانت الفتاة تُرسل خطابًا إلى «صاوا» من المكان الذي تَذْهب إليه. وكان يتحدث عن الصداقة التي كانت تزداد كل يوم يمر بينهما عن طريق الكمنجة. وكان يقرأ خطابات الفتاة العازفة في كل يوم، وهكذا كانت تمر أيامه. وعاش في الخيال. وبعد ذلك مرت عدة سنوات، وذات يوم دق على باب «صاوا» رجل مُسِنٌّ، أتى من أجل أن يأخذ الكمنجة التي تركها عنده منذ عدة سنوات. فعندما

سمع «صاوا» ذلك ارتبك، ووقع في حَيْرَة، وما بِيَده حيلة، قدم الكمنجة التي تركتها الفتاه إلى الرجل. فلمس الرجل الكمنجة، و بمجرد أن لمس بأصابعه على أوتارها، قال: "لا، هذه ليست كَمَنْجَتي، فخجل «صاوا» كثيرًا، وأحنى رأسه إلى الأرض، وحكى له كل ما حدث بِصَرَاحة، وقال له: لا تقلق، كمنجتك قريبة جدًّا، وسوف أحضرها لك.

وبسرعة كتب خطابًا إلى العنوان الموجود في آخر خطاب أرسلته الفتاة. وبعد عدة أيام رجع الخطاب نفسه، وفي اليوم نفسه. في الخطاب الذي أتى من النمسا، تقول الفتاة: إنها لم تنهِ حفلة المدح في النمسا بالكمنجة، وبسرعة كتب "صاوا" خطابًا إلى العنوان الموجود في النمسا. وعاد الخطاب مرة ثانية، وفي نفس اليوم أتى خطاب آخر من بلجيكا، وكانت معظم الخطابات لا تصل إلى الفتاة. وكان الرجل كل يوم يَمر على "صاوا"، ويسأل عن الكمنجة، وذات يوم لم يتحمل "صاوا"، وقال غاضبًا: "سيدي، منذ كم سنة وأنت لم تأخذ هذه الكمنجة، والآن لماذا تطلبها؟ فبدأ الرجل يحكي له، وقال:

"أنا كنت أدرس في مدرسة المُوسيقى قِسْم الكَمَنجة، وأَنْهيت

الدراسة، وكان والدي ينتظر أن أصبح عازف كمنجة جيدًا، لكن لم يكن في تفكيري الموسيقى، فقد كنت أريد العمل بالتجارة، وكنت أتحدث مع أبي دائمًا عن تفكيري في التجارة وليس الكمنجة. والدي في ذلك الوقت صنع لي هذه الكمنجة، وقال لى: توجد بداخلها نصيحة و"لو تصورت في أحد الأيام أنك تركت الكمنجة"، يُمكِنك أن تخرج تلك النصيحة وتقرأها، أنا كنت ناكرًا للجميل. وبعد فترة قصيرة أخذت الكمنجة، وتركت المدرسة، وأعطيت إليك الكمنجة كأمانة استودعتها عندك. ومنذ عدة أعوام، فقدت والدي، ولم يخطر على بالي حتى هذا اليوم قِراءة النصيحة، وفعلت كل شيء، ولم يبقَ عمل لم أفعله، جرسون، وشحاذ، وأعمال البيع والشراء، وكان لا يرضى عني أحد قط، أما الآن، فقد سألت نفسي، لو كنت عزفت على الكمنجة، هل كنت سأكون سعيدًا أكثر؟!.

ولاحظ «صاوا» هذا الإشفاق والحسرة، وقال: "ها هي حياتي قد تغيرت، وربما أيضًا هذا الشيء المختبئ في الكمنجة، هو الذي سيغير حياتي، وهذه النصيحة تكون نافعة ومفيدة لي. وبعد ذلك بذل قصارى جهده وباع الغالي والرخيص من أجل البحث عن الكمنجة. وفي اليوم الذي أتى فيه خطاب من البنت، ذهب إلى تلك الدولة، وعندما وصل هناك، وجد البنت قد رحلت من هناك.

وبعد المطاردة والبحث عنها، بينما كان يَنْزل من سلالم قاعة الاحتفال الموجودة في باريس، أمسك بالفتاة. وعندما رأت الفتاة "صاوا"، انتابها فرح وحزن في الوقت نفسه. فرحت لأنها كانت تُعَبر لصاوا في الخطابات التي كانت تكتبها له عن النشوة والفرحة التي تعيشها في كل حفلة منذ عدة أعوام. وأصبح «صاوا» هو المُؤْتمن وصديقها الحميم الذي يعرف أحاسيسها ومشاعرها. وفرحت كثيرًا عندما تقابلت مع صديقها المخلص وجهًا لوجه. وحزنت؛ لأنها أحست بأنها ستفقد الكمنجة من يدها، وقد حدث مثلما كانت تتوقع، وأوفت البنت بوعدها، وأعطت الكمنجة إلى «صاوا».

وقالت: «لن أحيي حَفْلة مَرَّة ثانية"، سوف أستريح لمدة قصيرة».

وعرض "صاوا" عليها أن تأتي إلى مدينته، فوافقت الفتاة. ووجدوا الرجل وأعطوه الكمنجة. وفتح الرجل طرف الكمنجة بِمَهارة، وحقًا كانت توجد بداخلها ورَقة، وكان فيها ما يلي:

"من يحتضن هذه الكمنجة بالحب، ويعزف عليها بلطف، لا يترك النجاح أثره، أي يأتي النجاح من خَلْفه. وتَنْطق

الكمنجة بصوت صافٍ وأملس . . وبالقدر الذي تُتْقِن فيه استخدام الكمنجة تُصبح ناجحًا بهذا القدر . . ولم تستطع الفتاة مقاومة دموعها الموجودة في القناة الدمعية عندما سمعت ذلك، وقالت: «أنا فعلت ما قلته».

عزفت على الكمنجة بلطف، وكنت في اليوم أستخدمها على الأقل عشر ساعات، وعندما استقبلتها بوفاء وأحسنت استخدامها، قدمت إلى نجاحات عظيمة. وقبل هذه الكمنجة كنت رَئِيسة عازفي كمان عادِية وغَيْر معروفة. أما الآن فلا يُوجد أحد في العالم لا يَعْرِفني". فغبط الرجل الفتاة، وقال: «الكمنجة لك».

الآن فهمتُ سِر النجاح، «بالقدر الذي تُعانِق وتُحب به أي عمل، يزداد حظك بهذا القدر، وتصبح ناجحًا».

وأنا لم أهتم، ولم أعتنِ بالكمنجة ولا بأعمالي الأخرى بدَرَجة كافية. ولهذا السبب لم أكن ناجحًا، وأنتم استخدمتم نَصِيحة والدي، وسوف أعطيكم الكمنجة بكل راحة ضَمِير. وأنا لا أعزف على الكمنجة بعد هذا العمر ثانيةً، ولو بدأت من جديد لن أنجح".

ونظر «صاوا» إلى ابتسامة الفتاة المُخْتَلِطة بالحزن، وقال:

"لا تكتبي خطابًا لي مرة ثانية، لعل حياتي تمر بعد هذا مثل الخُضْراوات الموجودة في الحديقة"، فداعبت الفتاة كتف «صاوا» بخفة، وقالت: "ألَا تُساعِدني؟!" تَعْتَني بكَمَنْجتي، وتُساعدني في تقليب أوراق النوتة الموسيقية في احتفالاتي".

وامتلأت عيون "صاوا" بالدَّمع، وأشار بِيْده مُعْربًا عن الموافقة، وهمهم في كلامه، وقال: "كنت أَعلم أن حياتي سوف تَتَغَيَّر في يوم من الأيام". واستغرق «صاوا» في الفَرح والسعادة والبَهْجة مع المرأة التي أَحَبَّها من دولة إلى دولة حتى الموت.

* * *

وعندما انتهت الحكاية، عَرِف «قيمق» أن السيد «ترتر» سعيد من السعادة الواضحة على وجهه. ما هذا الحب العميق؟ مَنْ كَتَب هذا الخطاب إلى ابنى فقد أَسْدَى إليه خدمات جليلة.

أيها الصغير .. إن الذى يُرسل الخطابات يعرفنا جيدًا .. أليس كذلك..؟ أيها العم «ترتر»، هل أنت مهتم بمعرفة من يُلقى هذه الخطابات؟

لا، لماذا أهتم بذلك، إنه أحدهم غير متوقع، معروف.

أنا لا يهمنى مَنْ أرسله . . ولكن أهتم بالحكاية التى فيه . .

يااه ياعم «ترتر»، هل تَعلم أن أحدهم يقتفي أثرنا، هذا بدأ يضايقنى إلى حد ما . . آه طبيعي، أنت شاب، وفى سن الشباب يتضايق الإنسان من الاهتمام . . الشيء الذي يضايقك أنت يعجبني أنا، وهكذا تضايقت من عدم الاهتمام لدرجة أن أحدهما ربما يتتبعني . أتمنى أن يعتنى أحد .

* * *

هل أسس «قيمق» . . مكتب البوليس السرى عبثًا . . . ؟فلا بد أن يحل سر خطابات الحواديت تلك . .

كل شخص يعرف أن أهم موضوع في البوليس السري هو "إيجاد طرف الخيط . أمسك طرف الخيط"، يعنى خلع الجورب في لمح البصر . والسؤال الذي يأتي إلى البوليس السري يسألون بناءً عليه . وإلى من سيسأل «قيمق» الأسئلة؟ طبيعي أنه سيسألها لنفسه . والسؤال الذي يلتف حوله ويحاصره هو أن يسعى إلى مَحْو كل العلامات والآثار بحدسه الخفي . هل قدْرَة السؤال سهلة بالإشارات؟ وحتى المُخْتَرعات التي كتبها «قيمق» فى كراسته منذ فترة طويلة، "الشيء الذي يزداد بسرعة كبيرة في العالم، هو إشارات وعلامات السؤال، ولو قضيت على واحد

منهم يأتي اثنان وثلاثة بدلاً منه".

وفي البداية كان كل شيء هكذا، ولكن البوليس السري الجيد يعرف كيف يتفوق على جميع المشاكل، وفي النهاية يتبقى سؤال واحد، ما هو؟ هل رأى الناس الموجودون في حي «قيمق» الخطابات الموجودة عنده؟ وإذا عرف الشمس أو النجوم الموجودة في السماء يعرف إجابة هذا السؤال، هل يوجد من يعرف من كتب هذه الخطابات؟

«ولو كان موجودًا سيكون شخصًا لا نعرفه، لأنه ما من أحد نعرفه يكتم السر».

وبخلاف الذي أتى على السيدة «كَوربه كَول» لا يُوجد اسم ولا عنوان للمرسل قط. وربما هذا الاسم أيضًا مزور، والعنوان مزيف وخطأ، وألصَق إلى جَميعهم طوابع ما قبل عشرة أو عشرين أو ثلاثين عامًا. والسؤال هو: هل تأتي قضايا الخطابات إلى هؤلاء الناس؟ "نعم طبعًا"، وكانت توجد قضايا مهمة لدى السيدة "كَوربه كَول"، ولدى السيد «ترتر» وأيضًا لدى ابنه.

هل تحل المشاكل بالحكايات والخطابات؟ نعم.. نعم.. نعم.

ولكن من كان يعرف هؤلاء الناس ومشاكلهم؟ عدة

أشخاص: الجيران المقربون، والأقارب، والبقال، والجزار، وبائع الخضراوات، يعني عدة أشخاص، آه وجدته.. إنه صيرتيق لا بد أن هذا العمل قد خرج من تحت رأس صيرتيق ولكن ماذا فعلت يا قيمق؟ إن صيرتيق يُدهش الناس ويُحيِّرهم ولكنه لا يستطيع أن يكوِّن جملة من كلمتين.. هذا صحيح.. ولكن هل بالجلوس فى المنزل يمكن الوصول إلى الفاعل.. يا ترى هل كل الخطابات ثلاثة.. فقط ثلاثة؟ أم أن هناك خطابات أخرى أتت لآخرين..؟

قبل أن يخرج إلى الاستكشاف والتحرى في الأحياء. تَحدث عن الخطابات إلى البقال، وبائع الخضراوات، والجزار.

أنا أيضًا أتى إليَّ خطاب، ولكنه في الأصل كان ليس خطابًا. قال الجزار: "هو شيء مثل الحكاية والقصة، وقرأت عدة سطور، وفي النهاية مزقته قائلاً: سيطلبون نقودًا مرةً ثانيةً، ثم ألقيته.

قال «قيمق»: إني خائف من هذا..، إن أحدهم يُريد أن يختبرنا بهذه الخطابات، وطاف بالأبواب، وأتت خطابات مشابهة إلى ثلاثة منازل فقط من الخمسة عشر منزلاً التى طفت بها. وطلب «قيمق»الخطابات على أن يعيدها في أقصر وقت

ممكن. كان يوجد في أحدها حكاية البجعة، وفي الأخرى حكاية الحَدَّاد الماهر، وفي الأخيرة حكاية السِّحْلية. وكانت جميع الخطابات تنبعث منها رائحة الكعك المصنوع بالفانيليا مثل الآخرين، لقد اتضح الأمر كانت الخطابات تُكْتَب جميعها عن طَريق نفس الشخص. إنه الحلوانى.

أخذ «قيمق» نفسًا عند البوسطجى الوحيد فى الحى، كان مكتوبًا على الباب: "مُغلق لمدة شهر بسَبب العطلة".

وقالت المرأة التي تَمْسح الزجاج المَوْجود في الطابق العلوي للحلواني: "سوف يفتح المحل بعد أسبوعين، إنهم ذهبوا إلى القرية". قال «قيمق»: "مثل الصابون، عندما أمسكه جيدًا، يتزحلق من يدي ويذهب". وفي اليوم الثاني طاف «قيمق»، ودق على بابي وبابك، وبحث عن الحكاية والخطاب، ولكن لم يجد خطابًا جديدًا. وفي النهاية، عندما وصل إلى السيد «ترتر»، نقل له الرسائل والخطابات التي جمعها من الأحياء. وكان «ترتر» غريب الطبع، فلم يلتفت ولا يهتم قط بما أحضره «قيمق» من الخطابات. حتى إنه طلب ألاَّ يقرأ «قيمق» له لمدة عدة أيام. في ذلك الوقت أصبح «قيمق»شبيهًا بالطائر الذي كُسر جناحه. وانكمش في زاوية، سأل بصوت خفيض قائلاً: "ألن تُريدنى مرةً ثانيةً؟". قال السيد «ترتر»: إننا نتوقف

عن القراءة.. ولكن ستأخذنى قليلاً بالكرسى المتحرك، وتخرجنى إلى الحديقة، وتحملنى إلى التسوق..

- فلتعش .. هيا لنخرج .. قالها «قيمق» فرحًا.. وتابع: ستجدنى سائقًا ماهرًا لكرسيك .. سوف ترى.. هيا .. وبينما كان يدفع بالكرسي. تعلقت عجلته بحبل مَشْدود كان بين أَرْجل المنضدة، وتعلقت الخِطابات المَكْتُوبة بالخطوط الحَمْراء والصفراء والزرقاء والخضراء بالحبل.

فتحير «قيمق»، سأل قائلاً: آاااااه ماذا يحدث لهذه الخطابات؟ وماذا تكون في هذه الخطابات؟

قال السيد «ترتر»: كَتَبْتُها لأصدقائي. هل لأصدقائك؟ آاااااه! وأين كانوا حتى الآن، لم تُحَدِّثني عنهم قط، آاااه الصيادون، هل تراسلت مع أصدقائك الصيادين مرة ثانية؟

فابتسم السيد «ترتر» بمكر مثل الثعلب، كان لا يمكنك أن تعرف "جميعهم كانوا لأصدقائي الجدد".

يعنى كُنت تكتسب أصدقاء جددًا وأنت جالس فى مكانك، ما أجمل هذا الشيء! حسنًا! من وجهة نظرك من يكتب هذه الخطابات التي تأتي إلى الناس الموجودين في الأحياء، أم أنت الذي تكتبها"...؟

أنت بوليس سري قليل الخبرة! هل تشتبه فيَّ؟ أو تشك فيَّ؟

نظر «ترتر» إلى الخطابات التي أمسكها «قيمق» في يديه بلهفة وحزن، وقال:

"تحدث مع البوسطجى، هو تقريبًا يعرف جيدًا من يرسل الخطابات وإلى من يرسلها" ألن تقول لي؟ لمن تكتب الخطاب؟ آه، أنت طفل متلهف وكثير السؤال، هل الدور علي الآن؟ هل وصلت إلي الخطابات؟ هل تعرف؟ إن حكاية الصياد قد أفادتنى. جعلتني أكتشف أنه لا يوجد حب في حياتي ومن هم حولى وأنا أيضًا بدأت أنظر بشكل آخر وبعين أخرى لبيئتي وحياتي. وأيضًا بدأت أنظر إلى الأشجار والطيور والأسماك،

وإلى السيدة التي تُحيك بإبرة الخياطة أمام نافذتي، وعلىَّ الولد ذي الوجه المتسخ الذي يبيع الفطير في مفترق الطرق. كانت خطاباتي لهؤلاء جميعًا، وجرب أن يكتب الشعر لكل واحد منهم، ذلك الشيخ العجوز المقعد قد نجح أيضًا ما أعظمك أيها الإنسان! أنت إنسان عظيم! لقد حركت ما بداخلي مرةً ثانيةً. حتى ولو مرت سنين لن أنساك أبدًا.

* * *

منذ ذلك اليوم، لم يقرأ "قيمق" الكتاب إلى السيد "ترتر". وتقريبًا كان يخرج معه للنزهة والتجول في الحي بكرسيه ذي العجلات كل يوم، وكان يأخذه إلى السمسار "سمسار البيت" وإلى مُصْلح التلفزيون، وإلى المتنزه، وإلى جانب أصدقائه الصيادين. كان السيد «ترتر» يسعد ويفرح وهو بجوار أصدقائه، وكان يحكي حكايات مضحكة وكوميديا لا يتصورها عقل. كان «قيمق» يسمعه بعَجب ودهشة وغرور. بينما كان يعيش وحيدًا في غرفته القاحلة، كيف كان يَحْبِك هذه الحكايات . . ولم يتمالك نفسه من الدهشة والتعجب.

ذات يوم انفعل السيد «ترتر» قائلاً: "احملني إلى السوبر ماركت". وكان يُريد الذهاب إلى الماركت الكبير الذي فتح

جديدًا. وأعجب الاثنان بالسوبر ماركت، وكان يوجد به كل شيء، آلات إلكترونية وملابس وأحذية وحلوى ومأكولات ومشروبات وملابس وأدوات رياضية وكل ما يريدونه كان موجودًا.

قال «ترتر» لقيمق: "إذا أردت أن تكون بهلوانًا، ستجد هنا كل اللوازم الضرورية، وأشار هنا.. لا.. لا بل هناك...

نفض «قيمق» كتفيه وقال: "لا، لا أريد أن أكوان بهلوانًا، عندي خوف من الأماكن المرتفعة". ونظر السيد «ترتر» باهتمام إلى كثرة البضاعة الموجودة في أقسام الملابس والمخازن، وكان يُريد أن يشتريها جميعها. بينما كان سيشتري كل الأشياء التي أعجبته كثيرًا. عندما يعرف سعرها، يقول: سنشتريها في المرة القادمة، وكان يتركها مكانها. وفي نهاية الاختبار أخذوا مجموعة من معلبات منتجات البحر، وطاقية رياضية، وجبنة بكمون وقلم بطارية، وشيكولاتة لقيمق. وبينما كانوا يخرجون من السوبر ماركت قال السيد «ترتر»: "كانت توجد أشياء أجمل، أليس كذلك؟! غدًا احملني إلى سوق العاديات، كل شيء سنشتريه يكون عليه سعره.

وعندما كان «قيمق» يتنزه مع «ترتر» كان يبحث فى الوقت

نفسه عن كاتب الحواديت فى الخطابات، كان يشتبه فى كل مَنْ يراه من الذين يُقابلهم، ويقول لنفسه.. هذا هو.. وينظر إليه بشك.

في إحدى المرات، وقع في حفرة، وشغل باله رجل يمشي وهو يتحدث مع نفسه، ترك «قيمق»السيد «ترتر» إلى رجل خباز، ومشى خلف الرجل. وقف الرجل في محطة الأتوبيس. كان يسأل الموجودين حوله عن رقم كل أتوبيس يأتي، فترك «قيمق»متابعته. وقال: «إنه لا يقرأ، وضيَّعت وقتي هباءً».

في قائمة المشتبهين كان الملك أيضًا، ومن يمكنه أن يقول إن الملك لا يمكنه كتابة حكاية، يمكنه أن يكتب، ولكن لا يخفي شيء قط على كتابته. فإن شعار الملك يكون على أوراق الخطاب والظروف، وفي الحال يصرف النظر عنه.

إن خطابات الجدَّة والسيد "ترتر" وابنه قد أسعدتهم.. ولكنها كانت توتر أعصاب «قيمق» من يوم إلى آخر.. بسبب الغموض الذى يُحيط بمن كتبها.. عندما نظر «قيمق»إلى المرآة، شد كل مكان فى وجهه بإحكام حتى إنه رأى أسنانه.

وذات يوم، وهو في الطريق وجد «قيمق»السيد ذا الوجه

الضاحك أمامه وأصبحا وجهًا لوجه . . حيث كان يتخيل هذه المقابلة منذ عدة أيام، وعاتب البوسطجى مثل طفل عفريت وشيطاني. كنت سألتك عن الخطابات، أين أنتم منذ عدة أيام؟ بالله عليك من يرسل الخطابات والحكايات التي يُشبه بعضها بعضًا إلى الناس الموجودين في الأحياء؟

فرد ساعى البريد وهاجم «قيمق»الذي يُعاتبه قائلاً: " هل أنت تُحاسبني؟ الخطابات لا تشبه بعضها بعضًا. يمكن أن تشبه بعضها من الخارج فقط، ولكن عندما تفتحها وتنظر داخلها تلاحظ أنها تختلف كثيرًا عن بعضها. وكل مهمتى هو أن أوصلها إلى من أرسلت إليه، لا معرفة ما بداخلها، هل تظن أننى أفتح الخطابات وأقرؤها؟

تضايق «قيمق» من سلوك البوسطجى . وقال: إذا كنت لا تعرف الناس الذين يوزع إليهم البريد، فكيف تكون ساعي بريد؟! كنت تقول إنك تعرف ممن يأتي الخطاب، وإلى مَنْ كنت توصله تعرف كل إنسان كيف يعيش وعن ماذا يفكر. هل غابت منك واختفت عنك هذه الخطابات؟ آاه. . إذا تحدث المستلم عن خطابه كنت أصغى إليه. . وأعرف ماذا كتب الشخص، وإلى من؟ ومن أين؟

وتحير «قيمق»ماذا سيقول، البوسطجى كان على حق،

يمكن أن تُحل هذه المشكلة بوسائل عديدة، ولكن كيف؟ كان «قيمق» لا يريد أن يقبل بأن يقال: إن مكتب البوليس السري لا ينفع لأي عمل، ولكن توجد حقيقة واضحة. في الأيام الأخيرة لم يتمكن هذا المكتب من القبض على مذنب واحد، ولا ترزي ولا كاتب خطابات، ولا غيره. آاااه وفجأة، أتى على بالي الترزي الموجود في السماء، كنت قد نسيته، يمكن أن يرى الترزى بوضوح كامل، ذلك الذي كان يجرى على الأرض، وبالتأكيد رأى من كتب الخطابات. فكتب رسالة إلى الترزي مساءً، ونجح في إرسالها بصاروخ إلى السماء.

من يدرى ربما في أحد الأيام العاصفة يظهر دليل أو إشارة.

* * *

الأوراق التي طارت في السماء في الأيام العاصفة، لم تنجُ من يد «قيمق» بعد. فماذا يفعل "قيمق"؟ أخذها جميعًا، ونظر فلم يجد عليها أي رسالة قط. بل كان معظمها ورق لبان وشيكولاتة، وكان مَنْ يرانى يظن أن ما فعلته هو جمع مجموعة صور فنانين معروفين، وأعطوني الصور التي خرجت من اللبان، وظن أحدهم بأني مجنون، وجاءوا يتعقبونني،

ويضربون بأقدامهم على الأرض، ويأتي من خلفي صوت النفير وعَزْف الموسيقى.

لم يخرج «قيمق» سيجو من جيبه قط. وكانت بعض أغاني المدرسة التي عزفها، كان بعضها وأجزاء منها تتفق معه ومع حالته هذه، فأخذ يرسل أغانيه إلى البنت الجميلة التي لم يعرفها، الموجودة خلف الجبل المقابل له، مثل الصياد الموجود في حكاية الصياد.

من يدرى ربما في أحد الأيام، تعجب البنت الجميلة بأغنيته، وتتعلق بها، وتأتي وتجده، وقال «قيمق»: إن أغنيته تذهب إلى أماكن بعيدة جدًّا.

وبينما كان «قيمق» موجودًا في منزل السيد «ترتر»، تحولت الرياح التى كانت هادئة لطيفة وأصبحت كالعواصف التي لا تلاطف وجه الإنسان، بل هى عاصفة هوجاء.

بينما كان «قيمق» يقرأ أخبار الجريدة إلى السيد «ترتر»، أتت أصوات مُخيفة إلى المنزل، كانت تتدحرج البراميل من السطح، والأخشاب تحدث صريرًا، وكانت تخرج أصوات تُشبه الأنين والنواح من الشبابيك، لم تحدث رياح قط في منزل جدتي. لماذا تضايق الرياح منزلكم بهذه القدرة، أيضًا لا تحدث في منزلي البسيط، لن تهدأ هذه العاصفة دون أن

تجعل المطر الشديد والغزير يَمْطر ويهطل كان «قيمق» يخاف، وقبل لحظة كان لا يفكر في شيء سوى إنهاء عمله والعودة إلى المنزل. في تلك الأثناء، فتح الباب، وخاف «قيمق»، وقفز من مكانه، وظن أن الرياح قد دخلت الغرفة.

والبوسطجى القادم كان هو ذا الوجه الضاحك، وبجواره بوسطجى شاب.

مرحبًا! سأعرفك بالبوسطجى الجديد. وقال: هذا اليوم آخر يوم لي. سوف أتقاعد، ومن بعد غد سأبقى في المنزل. سأله «قيمق» قائلاً: هل تجلس في المنزل؟ وتَحَيَّر، وقال الشخص الذي يتجول ويطوف في الشوارع طوال اليوم: كيف يعيش في المنزل ويستقر؟

قال: سأبقى في المنزل، ولكن من أجل عمل آخر، سأكتب حواديت وحكايات. قال: هل ستكتب حكايات ؟ ماذا يعرف ساعي البريد عن كتابة الحكايات؟ ألم تحب حكاياتي وحواديتي؟ ماذا؟ هل أنت الذي كتبت الخطابات والحكايات؟ قال البوسطجي: نعم، هل أعجبتك؟

آااه . . تحيرت! تحيرت كثيرًا! لم أتخيل قط بأن الرياح سوف تحضرك أنت، لماذا فعلت هذا؟

لماذا؟ بالتأكيد لدي معرفة، كنت أقول ذات يوم لك بأني أعمل ساعيًا للبريد، وأعرف العالم بسهولة، هل تذكرت؟

نعم، ولكن يكفي معرفة العالم والناس، يجب أيضًا تغيير العالم.

كانت حكاياتي تغير حياة الناس الموجودين في المنازل، والذين يذهبون، هل أنت مدرك ذلك؟ بالتأكيد، كيف لا أدرك ذلك؟ عندما كانت جدتي سيدةً بطيئة الحركة، أصبحت امرأة نشيطة. وتحركت الأشعار التى كانت تكمن فى قلب السيد «ترتر»، واكتشف ابنه لماذا لا تشبك إبرته بأى عمل، هذا القدر هو كل ما أعرفه.

وضحك البوسطجى وابتسم عن طيب خاطر بشكل

جميل، آه . . يعني إننا نجحنا في بعض الأشياء! سأشتري لي دراجة قبل أى شىء من منحة التقاعد. وسوف ترى، سأطوف العالم بدراجتي، وأعمل في الدول التي أذهب إليها جرسونًا ومنظفًا وخادم فنادق، وقاطع تذاكر في الأتوبيس.

ماذا؟ هل ستتركنا تمامًا؟

لا . . لا تنفعل! لن أنساكم أبدًا سواء أنت أو أصدقائي الآخرين، فإني أعرف عناوينكم جميعًا، وعلى حين غرة سوف تتلقون مني خطابًا غير متوقع وفجأة. وفي النهاية سأعود وأتجول، والمكان الذي أكون فيه سيكون بجانبكم، والأوقات التي أحس نفسي فيها جيدًا ومطمئنًا تعرفون بأني معكم ومعي أصدقائي.

حقًا، رافقتك السلامة أيها البوسطجى، سأفتقدك كثيرًا . . لم أعرف قط بوسطجيًا مثلك، وانهارت الدموع من عيون "قيمق"، ولكى لا يظهرها تحول عنه خلفه، فأمسك البوسطجى بأكتاف «قيمق»، وأداره إلى أمامه وقال: هل تعرف أنك تختلف كثيرًا عن الأطفال الذين أعرفهم! أنت أعظم شيء لي بعد الفاصوليا الجافة والأرز".

فعاد «قيمق» للضحك مرة ثانية بعد الدموع الموجودة في

عينيه، وقال: أنت فُكاهي ومُضْحك جدًا، وعانق بعضهم البعض، قهقهوا بصوت عالٍ وضحكوا كثيرًا .. وقال «قيمق»: آه .. الآن تذكرت، سوف أسألك؟ لماذا تنبعث رائحة الكعك من الخطابات؟ فضحك البوسطجى، وقال: هى رائحة كعك؛ ..لأن زوجتي وضعت أوراق الخطابات والظروف بجوار علب الفانيليا في المطبخ، وكانت الرائحة من هذا السبب على كل حال.

وأتت رائحة كعك لذيذة إلى أنف "قيمق"، واو .. رائعة! يا عم يا بوسطجى، أنت محظوظ جدًا، توجد معك زوجة جميلة تصنع لك الكعك المخلوط بالفانيليا. وبمجرد أن ذهب «قيمق» إلى المنزل، كتب هذا في دفتر المخترعات: «الفانِيليا أجْمل رائحة في العالم، لا تَدْخل التعاسة إلى المنزل الذي تدخله رائحة الفانيليا».

* * *

رأى «قيمق» الملك في منامه ليلاً، وقد أصيب الملك بمرض الضحك، وكان يضحك باستمرار ودون توقف. كنت أريدُ التحدث معه وسؤاله عن بعض الأشياء، ولكنه كان يضحك لدرجة أن بَطْنه كانت تهتز من الضحك. وعندما استيقظت في

الصباح، أول ما فعلته هو التحدث مع جدتى عن الملك.

كانت جدته تستمع إلى حكايته وتضحك، وتبتسم، وقالت: «رؤية وحلم جميل»، الضحك يعني الحظ، والجمال والطيبة. يعني أن الملك كان مبسوطًا وسعيدًا.

يا للفرحة.. أردت أن أكون في سعادة الملك أو مثله.. هل سمعت حكاية الملك العبوس الذي لا يضحك؟ ولكن في البداية سوف تأخذ ملعقة من مربى البرتقال التي أعددتها حديثًا. هل كنت تعرفين عمل المربى يا جدتي؟ لم تعرف صنع أي شيء أنت.

«واو.. رائع». احكي لي يا جدتي، يعجبني سماع الحكاية.

هذه حكايتي قد ألفتها، سأستمع بآذان مصغية، هل ستُعجب بها؟ كان يوجد في أحد الدول ملك عبوس، لا يَضْحك وجهه أبدًا. وكل الموجودين في القصر كانوا يُحْدِثُون هرجًا ومرجًا من أجل أن يضحك الملك، ولكن بدون فائدة! ولم ينجحوا في هذا العمل، ونشروا الخبر إلى جميع أطراف الدولة وأنحائها، ووعدوا بأن من يُضحك الملك يعطونه ذهبًا يكفيه طوال العمر. وأتت أفواج من كل أنحاء الدولة

من المشعوذين والمهرجين والخَدَّاعين والنصابين والمضحكين. ولكن لم ينجح أحد منهم في إضحاك الملك، وعلى ما يبدو فقد تضجر الملك، وبدأ يتثاءب من الضيق، وفي النهاية نام نومًا عميقًا، وأحدث شخيرًا.

آه يا جدتي، إن هذا الرجل مريض جدًّا ! لم يتمكن أي شخص من إضحاكه، توقف! اسمع.

وفي النهاية أتى رجل إلى القصر، وصعد إلى حجرة الملك، وبينما كان ينتظر ويقول: ما الحيلة التي أفعلها، أخرج من جيبه مِرْآة مكسورة، وقال للملك: لتنظر إلى المرآة. وبمجرد أن نظر الملك إلى المرآة، جُن جُنونه واستشاط غضبًا، وصاح

بصوت عالٍ قائلاً: لماذا لم يقل لي أحد بأني قبيح لهذا القدر؟ وجهي مجعد، ولا يعبر عن شيء، وكأني متنكر! وعيوني مُطْفَأة.. ! أخبروا الخياطين بذلك! هل سَيُجَمِّلونه أم هل سيشدونه ويحدثون له تغييرًا؟ يفعلون ما يفعلون، لن يفعلوا شيئًا يُلَيِّن وجهي!

ضحك الرجل الغريب على تصرفات الملك، وقال: سيدي الملك، هذا العمل لا يستطيع الخياطون فعله، أجمل شيء أن تفعل مثلما أفعل، تنظر إلى المرآة وتبتسم. ففعل الملك مثلما فعل الرجل الغريب، يعني نظر إلى المرآة وابتسم، وقال: يا للفرحة الآن، أبدو وكأنني شاب. وكلما ابتسم كانت تلين الخطوط التي تشوه وجهى وتزيده قبحًا، حتى تختفي تمامًا. ويظهر وجه مشرق ومضيء ولامع للغاية. وتشتعل الأنوار في عيوني. ومن بعد هذا اليوم، بدأ الملك يبتسم طوال الوقت من أجل أن يظهر جميلاً وشابًا. وكان كلما يبتسم، يصدر القوانين الجيدة في الدولة، وأصبح كل شخص سعيدًا.

قال «قيمق»: واووو.. جميلة جدًا، هل ألفت هذه الحكاية قريبًا يا جدتي؟ هل في هذه الأيام. قالت جدته: نعم في هذه

الأيام، وكانت تعمل على إمساك ضحكتها بين أسنانها، وقال «قيمق»: لم تكن قديمة، تقريبًا ألفتها منذ عدة أسابيع، وأنت أيضًا يا جدتي كوني مثل الملك بشوشة وذات وجه ضاحك، وأريد أن أنسى طبيعتك وشكلك العبوس القديم.

ولف «قيمق»ذراعيه على رقبة جدته، ولمس خدها بشفتيه، ولصق مربى البرتقال الموجودة بخد جدته وقال: هل أنت سعيدة يا جدتي؟

وبينما كان يسأل هذا السؤال، كانت النجوم الموجودة في حدقة عينه تشتعل وتنطفئ.

وملأت الجدة أيدي «قيمق» بالقبلات، وقالت: «نعم منذ عدة أسابيع أخيرة»..

وقال «قيمق»: وأنا أيضًا. نحن مدينون بسعادتنا إلى البوسطجى، أليس كذلك؟!

وعندما سمعت جدته كلمة البوسطجى أصبحت سعيدة، واحمر وجهها بتموج، وكأنها تجلس على النار. وربما ضغطت ذراعي «قيمق» المتدليتين على رقبتها. وقبل قليل انفكت ذراعا الطفل من رقبتها، لأنها كانت تُريد التخلص من الاخْتِناق،

وقالت بضجر: مدينون، كيف؟!

لم يبق شخص حتى الآن إلا وهو مدين لهذا الرجل الطيب، ونحن مدينون بسعادتنا إلى البوسطجى.

كيف، أضحكتني؟

قال: السعادة هي عمل العقل.

قالت: وهل أعطى البوسطجى شيئًا لنا يستحق أن نشكره عليه؟

قال «قيمق»: لا، ولكن البوسطجى كان رجلاً ذكيًا ومتيقظًا فقط. تتبعنا ورصدنا، وكتب حكاية من وجهة نظره. وقرأتُ حكايته، ورأيت فيها الحب الذي وضَّح لي طريقي. وبذلتُ جهدًا من أجل أن أكون قويًّا، وكل الحكاية هكذا، إذًا كانت الحكاية مثلما يكتبها البوسطجى، وأنا أيضًا يمكنني كتابة مئات الحكايات.

ونظر «قيمق» إلى جدته بابتسامة حانية، وقال حبيبها الصغير وننى عينها: آه يا جدتي، أنت مثل أوراق المقدونس التي ألقيت في الماء، وأنت تسعين وتبذلين جهدًا جميلاً من

أجل الوصول إلى القمة.

كتب «قيمق»: القبض على أَطراف السعادة ؛ تأتى الأطراف أحيانًا من برطمانات المربى التى تصنعها جدتى.. وأحيانًا فى شنطة ساعى البريد المهترئة.. وأحيانًا تخرج من الزجاجة التى ألقى بها إلى البحر..

* * *